

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministre de l'Enseignement Supérieur

et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj -Bouira-

Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-

Faculté des lettres et des langues



جامعة البويرة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج

-البويرة-

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة العربية وآدابها

التخصص: دراسات أدبية

آليات الحجاج في خطب أبو بكر الصديق
"جمهرة خطب العرب" نموذجاً

مشروع بحث مقدمة لنيل شهادة ليسانس

إشراف الأستاذة:

- حفيظة خالدي

إعداد الطالبتين:

- قيرواني زينب

- طلاب رزيقة

السنة الجامعية 2017/2016

الشكر والعرفان

عملا بقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" فالشكر والحمد لله على نعمه التي لا تحصى، ومن بينها أنه وفقنا على إتمام هذا العمل، الذي يسعدنا أن نتقدم من خلاله بخالص الشكر و العرفان إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد ونخص بالذكر الأستاذة "**حفيظة خالدي**" التي لم تبخل علينا بنصائحها منذ بداية عملنا. و في الأخير نختزل كل عبارات الشكر و العرفان في ثنائية واحدة تقول:

شكرا للجميع

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى الذي كان سندا لي ودفعني إلى نيل المعالي وكان سببا

في نجاحي

أبي الغالي

إلى سندي في هذه الحياة

رفيقة دربي إلى الممات

أمي الغالية

إلى رياحين حياتي وإخواتي وأخواتي وأحبائي أمينة، مريم،

محمد، سليم، محمد.

إلى أختي الغالية وصديقتي عائشة إلى من هونت علي

الصحاب ورفيقة دربي وأنيسي زينب.

إلى جدي وجدتي وأمي الثانية مليمة

رزيقة

إهداء

إلى القلب الحنون والحنن الدافئ، إلى من رافقتني بدعواتها
في كل مكان وزمان
أمي... أمي... أمي

إلى الراحلين والحاضرين في قلبي دائما أبي وأخي رحمهما الله
إلى من ساعدني على تحقيق الأمنى وساعدني ع.إ.
إلى رباحين حياتي إخوتي وأخواتي

سمير، فاتح، سعيد، نور، مليكة، ليلي، منى، سعاد، فتيحة.

إلى نور عيوني شمس الشمس أختي وصديقتي الغالية ليلي
ورفيق دربي رقيقة، وكتكوتي الصغير آدم.

زينب

مقدمة

يعد الحجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، إلى جانب نظرية التلغظ وأفعال الكلام، وهو يرتكز أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله، كالإشارات والعبارات والحجج، إذ لا يمكن لأي مخاطب سواء كان شاعرا أم ناثرا، ان يستغني عن هذا الأسلوب الذي يهدف إلى استهواء المتلقي واستمالته، وهذا الأمر لا يكمن فقط في المجال الأدبي، نجده أيضا في حياتنا اليومية التي تبنى كليا على الأدلة والحجج أثناء التواصل. وهذا المصطلح له جذور عريقة في التاريخ، إذ إن أول ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم ظهر في الدراسات المعاصرة مثل شايم بيرلمان perelman chaim في أبحاثه التي سماها البلاغة الجديدة نظرا لحدثة الأبعاد التي تهتم بها.

لقد تم اختيارنا لهذا الموضوع لسببين: علمي وذاتي، أما السبب العلمي فيمكن في قلة الاهتمام بالتراث الديني للخليفة أبي بكر الصديق، وأما السبب الذاتي فيتمثل في ميل النفس أكثر إلى الدراسات التراثية ومحاولة نفوذ الغبار عنه وإخراجه من إطار التاريخانية.

وجدنا أن إشكاليته تصاغ على النحو الآتي: فيم تتمثل الآليات الحجاجية التي وظفها أبو بكر الصديق من خلال كتاب " جمهرة خطب العرب " الجزء الأول لـ " أحمد زكي صفوت " ومن أجل ذلك حاولنا تسليط الضوء عليها من خلال ما توصلت إليه البلاغة الجديدة وذلك باستخراج الآليات الحجاجية التي وقف عليها الكاتب من أشكال بلاغية، وروابط حجاجية ، وآليات لغوية.

للإجابة عن هذه التساؤلات وأخرى قسمنا البحث إلى فصلين كان الأول نظري بعنوان " ماهية الحجاج وتفقنياته " وعرضنا فيه تعريف الحجاج لغة واصطلاحا وتطرقنا في هذا الفصل آليات الحجاج من المنظور التداولي كالحجج المبنية للواقع والروابط الحجاجية، ومن المنظور البلاغي كالصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه، والبديع من طباق وجناس ...، لنحاول في الفصل الثاني تطبيق الأمور

النظرية و سعيينا فيه إلى استخراج أهم تجليات الحجاج في خطب أبو بكر الصديق، فكان بعنوان "آليات الحجاج" وختمنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها جملة النتائج التي توصلنا إليها.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر، والمراجع، أهمها المدونة التي نقلت منها وهي كتاب " جمهرة خطب العرب"، أيضا مجموعة من الكتب التي تناولت موضوع الحجاج منها: "الحجاج في القراءان الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" و" نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" وهو كتاب لفريق البحث في لبلاغة والحجاج تحت إشراف حمادي صمود لعبد الله صولة، وكتاب " إستراتيجية الخطاب " للشهري، وكتاب " اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" لطفه عبد الرحمان. كما اعتمدنا على بعض المراجع التراثية مثل " البيان والتبيين" للجاحظ.

ومن المعلوم أنه لا عمل إلا ويتطلب من صاحبه تجاوز الصعوبات وتخطي ما يعترض بحثه، نذكر منها قلة الدراسات التي خصت موضوع الخطابة عن أبي بكر الصديق بالدراسة، خاصة من الوجهة الحجاجية.

ويعود الفضل الكبير بعد تيسير الله عز وجل في إنجاز هذا البحث، إلى الأستاذة الفاضلة حفيظة خالدي التي يسرت لنا مع عسر علينا من خلال ملاحظاتها السديدة فلها منا جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

الفصل الأول

ماهية الحجاج

وتقنياته

الفصل الأول:

1 تحديد مفهوم الحجاج

2 تقنيات الحجاج

1- تحديد مفهوم الحجاج:

أ- لغة:

لقد دارت معاني مادة (ح ج ج) في المعاجم اللغوية حول عدة معاني ومنه ما ورد في معجم العين: "حجج: قد تكسر الحجة والحج فيقال: حججٌ وحجَّةٌ، ويقال للرجل الكثير الحجج حجَّاجٌ من غير إمالة. وكل نعت على فعَّال فإنَّه مفتوح الألف، فإذا صيرته اسماً يتحوَّل عن حال التَّعت فتدخله الإمالة كما دخلت في الحجَّاج والعجَّاج. وحجَّ علينا فلان أي قدم. والحجُّ: كثرة القصد إلى من يعظَّم.

والحُجَّة: وجه الظفر عند الخصومة. والفعل حاجَبْتُهُ فحَجَبْتُهُ. احتَجَبْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ. والحجاج المصدر¹.

كما ورد في أساس البلاغة "حاجَّ خصمه فحجَّه، وفلان خصمه محجَّوجٌ، وكانت بينهما محاجةٌ وملاجةٌ"².

وما يزيد المعنى قوة ما أتى به ابن منظور في لسان العرب: "فالحجة ما دُفِعَ به الخصمُ، ورجلٌ محجَّاجٌ أي جدلٌ، والتَّحاجُّ التَّخاصمُ، واحتجَّ بالشئ اتَّخذَه حجةً"³.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مج1، مادة (ح ج ج) تح عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، 2003م، ص276.

² - جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، مادة (ح ج ج)، شر، نع، محمد أحمد قاسم، ط1 المكتبة العصرية، بيروت، (دت)، ص155.

³ - أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج5 مادة (ح ج ج)، تح عبد الحميد هنداوي، دار اللسان العربي، بيروت، 1996، ص482.

وقال الجرجاني: "الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد".¹

ويورد ابن فارس معنى الحجاج في كتابه "مقاييس اللغة" في قوله: "يقال حاجبت

فلانا فحجبتة أي غلبته بالحجة وذلك الظفر عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر

الحجاج".²

كما نجد أيضاً تعريفاً للحجاج في معجم الوجيز وذلك حسب قوله:

"(حاجّه) محاجةً، وحجّاجاً: جادله. وفي القرآن الكريم "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في

ربه" البقرة 258 ويقال حاج فلاناً فحجّه: غلبه بالحجة.

(احتجّ عليه): أقام الحجة وعارضه مستكراً فعله.

(تجاجوا): تجادلوا. و(الحجة) الدليل والبرهان".³

يظهر لنا من خلال التعريفات السابقة أن دلالة الحجاج ترتكز على وجود

اختلاف بين الباعث للرسالة والمستقبل لها ومحاولة الأول إقناع الثاني بحجة ودليل

يقدمه له لاستمالة عقله والتأثير فيه وبالتالي إقناعه بالإقبال على الشئ أو الإقلاع عنه.

¹ - الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار اللسان العربي، بيروت 1992، ص482.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (ح ج ج) ، تح، عبد السلام هارون، ط1، مج2، دار الجيل، بيروت، 1991، ص30.

³ - معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م، ص143.

من خلال هذه التحديدات المعجمية لمصطلح الحجاج، نجد دلالاته اختلفت فقد جاء للجدل أو الدفاع أو التغالب أو التخاصم ومنه نستنتج أن أساس الحجاج هو الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما.

ب- اصطلاحاً:

نجد أن الدراسات المعاصرة عند الغرب قد نالت نصيباً عند ثلة من الباحثين، الذين أسهموا بشكل كبير في بلورة الحجاج الأرسطي الذي يعد الانطلاقة الحقيقية للحجاج وسوف نقنصر على أهم الباحثين فقط.

أ- عند بيرلمان وتيتيكاه:

لقد عرف بيرلمان وتيتيكاه الحجاج تعريفات عدة في مواضع مختلفة من كتابهما "مصنف الحجاج" *traite de l'argumentation* إذ يعرفان الحجاج بأنه: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من طروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم". وقولهما في موضع آخر متحدثين عن الغاية من الحجاج: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة الإذعان. فأنجع الحجاج ما وُفِّقَ في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل

المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيبين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة¹

يظهر أن موضوع الحجاج هو البحث عن الآليات التي تعمل على جعل

المتلقي يذعن لآراء المحاجج سواء بالتسليم أو الإقلاع عن الأمر.

إن قيمة تعريفي بيرلمان وتيتيكاه للحجاج تكمن في القضاء على الثنائية القائمة

على الفصل بين ثنائية العقل والهوى في مفهوم الحجاج التي كانت عند بعض الفلاسفة

مثل باسكال ولذلك يرى بيرلمان وتيتيكاه أن العمل الحاصل بواسطة الحجاج لا يكون

عن طريق المغالطة والمناورة والتلاعب وإنما عن طريق الجمع بين العقل والعاطفة².

يقول: " وهكذا تكون قوى الإنسان "العقل والهوى" عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى

منعزلة بعضها عن بعض"³.

ب- الحجاج عند ديكر:

يفرق ديكر بين معنيين للفظ الحجاج : المعنى العادي، والمعنى الفني أو

الاصطلاحي:

أمّا الحجاج بالمعنى العادي:

¹ - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج -الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ص299.

² - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص29.

³ - عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص29.

"يعرَى الحجاج بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمتها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعاً فعّالاً وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً، إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه.

في حين يدل الحجاج بالمعنى الفني على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية. والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (scalarie) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصله بين سلالمة¹.

إذا فالحجاج حسب ديكره تتجلى خاصيته الأساسية في قابليته لترتيب الحجج حسب درجة القوة والنوع وذلك وفق ما يعرف بالسلالم الحجاجية، كما يركز على الحجاج في اللغة ذلك أن كل خطاب غرضه الحجاج.

أما بالنسبة للعرب فنجد مجموعة من الدارسين الذين تطرقوا للحجاج والذين لم يُطلعونا على آراء مغايرة لآراء الغرب ومنهم عبد الله صولة حيث يقول: "يرى بعضهم أن الحجاج في الدراسات الحجاجية المتعلقة بالحجاج على ضربين : ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والإستدلال إذ هو يعنى بتتبع

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ص21.

الجانب الإستدلالي في المحاجة. وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إزعان السامع أو القارئ¹.

ويقول أيضا: " للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم يجعله مرادفا للجدل

ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين

الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال) ومفهوم له في

العصر الحديث في الغرب، وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين،

ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئا فشيئا "في الاستواء مبحثا فلسفيا ولغويا قائم الذات في

العصور الحديثة، مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية

لأخرى"².

نفهم من قول عبد الله صولة أن الحجاج جاء بمعنى الجدل عند القدماء وبعض

المحدثين العرب كما نجده يجمع بين الخطابة والجدل وذلك عند اليونان، وقد أخذ مفهوم

الحجاج مسارا جديدا عند الغرب في العصر الحديث فقد استقل عن الجدل و الخطابة

وأخذ منحى فلسفيا ولغويا في العصور الحديثة

أما طه عبد الرحمن في كتابه " اللسان والميزان " قد عقد بابا سماه " الخطاب

والحجاج " إذ يرى " أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الأساسية بناء على أنه

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص8.

² - المرجع نفسه، ص9.

لاخطاب بغير حجاج¹. و"أن الخطاب الحجاجي يتعلق بالتعامل وأن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطاباً هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التفاعلية الواجبة في حق ما يسمى ب: "الحجاج"، إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها².

نفهم من قول طه عبد الرحمان أنه لا يخلو أي خطاب من الحجاج أي أن أي خطاب مهما كان يكون الإقناع غايته لأنه صفة جوهرية في أي رسالة بين طرفين. وهذا هو الذي أدى ب "بيرلمان" أن يطلق مصطلح الخطابة الجديدة عام 1958، وهي دراسة تتناول الحجاج بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه، وبهذا يتخذ الحجاج مفهومي³:

أولاً: طريقة تحليل واستدلال، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.
ثانياً: عملية إتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.

3- تقنيات الحجاج:

لقد حصر بيرلمان وزميله في كتابهما "مصنف في الحجاج" التقنيات الحجاجية في نوعين: نوع يقوم على طرائق الوصل، والنوع الثاني يقوم على طرائق الفصل. ويقصد بالنوع الأول: " ما يتم به فهم الخطط التي تقرب من العناصر المتباينة في الأصل لتمنح

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، ص213.

² - المرجع نفسه، ص226.

³ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، " دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي"، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص61.

فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلباً أو إيجاباً... في حين يقصد بالنوع الثاني التقنيات التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلاً واحداً، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها وتفكيكها¹

و معنى هذا أنه توجد أشكال حجاجية اتصالية تعمل على تقريب العناصر المتباينة، وتخلق نوع من التضامن بينها من أجل وضعها في قالب موحد، أما الانفصالية فهي تعمل على إحداث القطيعة بين العناصر الموحدة وإفساد الترابط الموجود بينها.

أ- تقنيات طرق الوصل:

أ-1- **الحجج المنطقية:** "تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها وليست هي إياها، إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض ولكن رغم ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية مثل التناقض والتماثل التام أو الجزئي ومثل قانون التعدية كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، "مقاربة لغوية تداولية"، ط 1 دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص 477.

بالأكبر"¹.

أ-1-1- الحجاج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية وهي أنواع:

- التناقض وعدم الاتفاق: " المقصود بالتناقض هو أن تكون هناك قضيتان في نطاق

مشكلتين إحداها نفي للأخرى ونقض لها كأن يقال: المطر ينزل ولا ينزل، في حين أن

عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع

والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة"².

- التماثل والحد في الحجاج وهما من الحجاج شبه المنطقية التي تعتمد البنى

المنطقية:

" التماثل التام مداره على التعريف من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرف والمعرف

وليس المعرف تمام المعرف على الحقيقة لهذا سمي الحجاج من هذا القبيل حجاجا شبه

منطقي.³

- الحجاج القائمة على العلاقة التبادلية: " تقوم على تمرير حكم ما من حالة معينة إلى

أخرى لاحقة عليها"⁴.

- حجاج التعدية: " تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث

¹ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات تطبيقية، ط1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع وتنمية فنون الرسم، 2011، ص42.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ص 42 - 43.

³ - المرجع نفسه، ص44.

⁴ - عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص36.

يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني¹.

أ-1-2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية ومنها:

- إدماج الجزء في الكل: "يكون الحجاج في هذه الحالة قائماً على النموذج التالي: ما

ينطبق على الكل ينطبق على الجزء من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر ما أسكر

كثيره فقليله حرام"

- تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له: "إن تصور الكل على أنه مجمل أجزائه تبني عليه

طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع كقولنا: الكلام اسم وفعل

وحرف"².

ب- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

"لئن كانت الحجج شبه المنطقية ترمي إلى صحة الموضوع ومشروعيته بفضل ما لها

من بعد عقلائي تستمد من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية والرياضية فإن الحجج

القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلمّ بها وأحكام

يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلمّاً بها. وذلك بجعل الأحكام

المسلمّ بها والأحكام غير المسلمّ بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث

لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر ومن هنا جاء وصفها بكونها حججاً

¹ - المرجع نفسه، 37.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج "دراسات وتطبيقات"، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2011، ص47.

اتصالية أو قائمة على الاتصال".¹

***وجوه الاتصال التتابعي:**

-الحجاج بالوصل السببي: يتضمن الربط بين الأحداث المتتابعة بعلاقات سببية،

ويمثل بيرلمان لذلك ب: " اجتهد فنجح، نجح لأنه اجتهد، يجتهد وسينجح " ².

أي أن الاجتهاد يمثل السبب والنجاح هو النتيجة المتوصل إليها بواسطة النجاح ومن

هنا يمكن القول أن المحاجج يعتمد هذا النوع من الحجاج لما له من تأثير على المتلقي

لأن هذا الأخير يبحث دائما عن ماهية الأشياء وأسبابها ونتائجها وبالتالي يذعن لما

يطرح عليه من طرف المرسل المحاجج.

-حجة التبذير: وهي حجة تقوم على الاتصال والتتابع وإن لم تكن ليعتمد أساسا على

السببية

-حجة الاتجاه: "وغرضها التحذير من انتشار شئ ما. ³

***وجوه الاتصال التوايدي:**

-الحجة التوايدية: تبنى على علاقة الشخص بعمله، ويمكن أن نمثل لها بقوله صلى

الله عليه وسلم { من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه } إذ يمكن أن نقول بان المتعلم

بوصفه شخصا في جوهره ليس فضوليا، وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن

¹ - المرجع نفسه، ص 48 - 49.

² - عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص 37

³ - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج - دراسة تطبيقية-، ص 50.

الإسلام.

- **الحجة الرمزية:** للرمز قوة تأثيرية في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز

إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين، والهلال بالنسبة إلى حضارة الاسلام،

والصليب بالنسبة للمسيحية، والميزان إلى العدالة.¹

- **حجة السلطة:** هي حجج عدة تغذوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته، فعلى سبيل المثال

وعد الشرف يأتي على لسان شخص ما باعتباره شاهد إثبات على ما يقول إنما يكون

وفقا على القيمة التي لهذا الشخص في عيون الناس.²

أي أن نجاح الخطاب ووصوله إلى الهدف المنشود وهو الإقناع يعتمد على قيمة

المرسل ومدى سلطته بمعنى أن الخطاب يستمد قيمته من قيمة المحاجج مثل قول

الرسول صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة رضي الله عنهم ويكفي أنها قولهم فيقبلونها

دون اعتراض.

*** الاتصال المؤسس لبنية الواقع:**

- **الحجاج بالمثل والاستشهاد والتمثيل:** "يؤتى بالمثل لتأكيد الفكرة المطروحة أو فض

خلاف. ويلحق بالمثل الاستشهاد بالنصوص كالمقولات الدينية أو كلمات القواد الخالدين

بالنسبة للمتلقي".³ وغايته توضيح القاعدة، وتكثيف حضور الأفكار في ذهن، وربما

¹ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 48.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج - دراسات وتطبيقات -، ص 52.

³ - عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص 37.

كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة، ولعل القرآن

الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية.¹

- أما التمثيل فلا تغيب عن قيمته الحجاجية لأنه يقوم على إبراز تشابه العلاقات وإن

كانت تختلف من حيث المصدر كقوله تعالى: { مثل الذين اتَّخذوا من دون الله أولياء

كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنّ من أوْهن البيوت لبیت العنكبوت }² العنكبوت 41.

*** تقنيات طرق الفصل: وتنقسم إلى:**

*** الأدوات اللغوية:**

تعدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتكوين خطاب

الحجاجي، وبناء حججه فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة لفعله، بناء على سؤال ملفوظ

به أو مفترض. ويعرف النحويون المفعول لأجله بأنه مصدر يأتي لبيان سبب الحدث

العامل فيه، ولا بد أن يشاركه في الزمان وفي الفاعل فأنت حين تقول: قمت إجلالا

لأستاذي، والمفعول لأجله هنا هو (إجلالا) مصدر، وهو يعلل الحدث الذي قبله وهو

القيام، وهو يشاركه في الزمان لأن القيام والإجلال حدثا في وقت واحد، ويشاركه في

الفاعل لأن القيام والإجلال من فاعل واحد³

ما يمكن استنتاجه من هذا التعريف هو أن المفعول لأجله مصدر يدل على سبب

¹ - صابر العباشه، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 49.

² - عبد الله صولة، في نظرية الحجاج "دراسات وتطبيقات"، ص 37

³ - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م، ص 258.

ما قبله أي يأتي لبيان علته، ويتميز بكونه يشترك مع الحدث الذي قبله في الزمان والفاعل فهما يحدثان في نفس الوقت ومن طرف الفاعل نفسه.

-**المفعول به:** " هو ما وقع عليه فعل الفاعل نحو: ضربت زيدا، والمراد بالوقوع التعلق المعنوي لا المباشرة وإلا لما عد منه، نحو أردت السفر".

-**المفعول المطلق:** "هو المصدر غالبا الذي يأتي لتوكيد عامله، أو بيان نوعه أو عدده، وقلنا غالبا لأنه يأتي في بعض الحالات غير مصدر كما سيأتي والمصدر هو رسم الحدث المستفاد من الفعل، وقد عرفه ابن مالك بقوله:

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن.

فالفعل يفيد مدلولين: الحدث وهو المصدر والزمان".¹

*الأفعال اللغوية:

يرى (فان ايميرن وجرو تندورست) أنّ الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في

الحجاج، إذا يضطلع كلّ منها بدور محدّد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب

الأفعال حسب مقدار الإستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري، إن

لم يكن كلّها ليعبر عن وجهة نظره وليحدّد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله

للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادّعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها

عند إقناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس

¹ - هاني الفرناوي، خلاصة النحو، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2005، ص244.

النتيجة. ويرى كل منهما أن الهدف من الخطاب الحجاجي، "هو إزالة شك المرسل إليه في وجهة النظر محل الخلاف ولهذا تتبعا دور كل صنف من الأفعال اللغوية التي صنفها (سيرل)، إذ وجدا أن بعضها ذو دور حجاجي، أما البعض الآخر فليس له ذلك الدور"¹

ويعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم، إذ إن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم.²

- الحجاج بالتبادل:

يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه.

فما يهم هنا هو إقناع المرسل بتطبيق قاعدة العدل، وما يميز هذا النوع من الحجاج أنه دعوة المرسل للمرسل إليه إلى ترسيخ هذا المبدأ بينهما بالتساوي.³

- الوصف:

¹ - الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 482.

² - المرجع نفسه، ص ص 483-484.

³ - المرجع نفسه، ص 486.

يتمثل في عدة أدوات لغوية منها: الصفة، اسم الفاعل، اسم المفعول. ويعرف

الشهري الصفة بقوله: "تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه،

وذلك بإطلاقه لنعته معين في سبيل إقناع المرسل إليه".¹

أما اسم الفاعل فهو: "صيغة تدل على ما قام به الفعل على معنى الحدث نحو

قائم وذاهب، والمراد بالحدث (وهو ضد القدم) أن يكون المعنى القائم بالموصوف

متجددا بتجدد الأزمنة كما في (قائم) فإنها تدل على الذي حدث منه القيام في زمان

معين لا في جميع الأزمنة وليس ذلك صفة ثابتة له ولا قديمة فيه".²

يعني هذا التعريف أن اسم الفاعل هو اسم مشتق من الفعل، خال من الزمن، يدل على

معنى معين وعلى فاعله كذلك.

كما نجد اسم المفعول الذي يعرفه النحويون بأنه: "ما دل على حدث نحو مضروب

ومكرم ومختلف، ويعمل عمل الفعل بنفس شروط عمل اسم الفاعل ويعمل عمل الفعل

المبني للمجهول".

مثال: زيد معطى أبوه درهما، أبوه نائب فاعل، وهو المفعول الأول، ودرهما المفعول

الثاني.³

¹ - المرجع نفسه، ص 486.

² - جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، 4 طدار ريجاني للطباعة والنشر، بيروت، (دت)، ص 45

³ - هاني الفرناوي، الخلاصة في النحو، ط 1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2005م، ص 244.

نفهم من هذا التعريف أن اسم المفعول يدل على حدث غير مقترن بزمن معين وعلى الذي وقع عليه الفعل، أي أنه لابد أن يدل على الأمرين معا.

- تحصيل الحاصل:

هناك من يعد بعض الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئاً في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالاته الحجاجية. ويمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية، والصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل. ويتجسد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرف.¹

نستنتج من هذا القول أن كثرة المسميات لمسمى واحد لا يعد مجرد كلام مكرر دون معنى وإنما لكل جزء من الخطاب دوره الحجاجي الخاص به.

* الآليات البلاغية:

" ليس الحجاج علماً/ فنا يوازي البلاغة، بل هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتم اقتراضها من البلاغة (و من غيرها كالمنطق واللغة العادية ...)، ولذلك فمن اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب. ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي

¹ - الشهري، المرجع نفسه، ص ص 489 - 490.

طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس".¹

هذا ويمكن تقسيم الآليات البلاغية إلى البيان والبديع، أما البيان فهو: أحد علوم ثلاثة تشتملها البلاغة العربية مع علمي المعاني والبديع، وقد اهتمت بدراسته كثير من المصادر القديمة لعل من أبرزها كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ الذي يعرف البيان بأنه: "الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"، يقول: "والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه. بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى"²، ويدل هذا التعريف عند الجاحظ على أن البيان هو كل ما يزيل الغموض عن الشئ المبهم أو الغير واضح. ويضم البيان ما يلي:

- الإستعارة:

إن فكرة تقسيم الاستعارة إلى أنواع فكرة واردة فمثلا عبد القاهر الجرجاني، يقسمها إلى مفيدة، وغير مفيدة، فيقول "فالاستعارة المفيدة تلعب دورا أساسيا في البناء الشعري، ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة، فهي لا تعدوا أن تكون تلاعب بالألفاظ"³

¹ - صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، تد: ممتاز الملوحي، ط 1 2008م، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ص50.

² - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين، دط، دار الجيل، بيروت، (دت)، ص31.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص173.

ويقسم العزاوي الاستعارة إلى نوعين: الاستعارة الحجاجية ، والاستعارة البديعية وهذه الأخيرة هي " استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي شغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، بقصد تحقيق، أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشار لارتباطها بقصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية"¹

أما الاستعارة الحجاجية أو غير البديعية، فإنها تكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين، وبمقاصدهم وأهدافهم، الحجاجية وإنما هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائه إظهار وتمكنهم من اللغة فالسياق هنا، إذن هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب"²

ومن هنا نستنتج أن الاستعارة الحجاجية جزء لا يتجزأ من الاستعارة التداولية، لأنها تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، أما الاستعارة البديعية التي يستعملها الأديب، كترزين وتلميح لتظهر في أحسن صورة، ومحاولة إخفاء كل العيوب التي يعاني منها، وليس قصده التأثير في المتلقي، بل التفنن في الأساليب والزخارف اللفظية. ونُعرف كذلك على أنها: "استفعال" من العارية، ثم نقلت إلى نوع من التخيل

لقصد المبالغة في التخيل والتشبيه مع الإيجاز، نحو لقيت أسداً، وتعني به الشجاع"³. ومعلوم أن الاستعارة هي المجاز الذي يقوم على المشابهة بين المعنى

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

² - المرجع نفسه، ص109.

³ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو فضل إبراهيم، ج3، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص ص432-433.

الحقيقي والمعنى القيمي، وحيث أن المشابهة أدل من غيرها على التعالق بين هذين المعنيين فقد ظهر أن الاستعارة " أدل ضروب المجاز على العلاقة المجازية ¹. نفهم من هذا التعريف أن العلاقة داخل الاستعارة هي علاقة مجازية بين مشبه ومشبه به كما تتميز بالإيجاز وهذا ما يكسبها جزالة وبياناً.

إن تفضيل ريتشاردز للاستعارة ينطلق من كونه يعدّها من أسمى المظاهر البلاغية التي تستطيع أن ترتقي إلى مستوى التصوير اللغوي، وإلى مستوى إيصال المعنى بكيفية تتكاثف فيها سياقات وتجارب متعددة ². وما يمكن استخلاصه من التعريفات السابقة هو أن الاستعارة تكمن بلاغتها في تجسيد المعنوي في المادي المحسوس قصد تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وإكساب لغة المخاطب (المحاجج) قوة وبياناً.

- التشبيه:

يعرفه عبد الله الزركشي بأنه "إلحاق شئ بذى وصف في وصفه" وقيل: " أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به". وقيل: "الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشئ الواحد، كالطيب في المسك والضياء في الشمس والنور في القمر.

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط 1998، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 232

² - حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته " دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة" 2 مج "الحجاج مدارس وأعلام"، ط 1، 2010م، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010، ص 153.

وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشئيين بخلاف الاستعارة¹. والغرض منه هو تأنيس

النفس بإخراجها من خفي إلى جلي، وإدناؤه البعيد من القريب، ليفيد بيانا².

ولقد أقر عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة أن للتشبيه دور في الإقناع أي

أن له دور حجاجي والتشبيه يأتي على ضربين حيث قال: "إعلم أن الشئيين إذا شبه

أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين:³

أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأويل ومثاله: تشبيه الشئ

بالشئ من جهة الصورة والشكل(..) كالتشبيه من جهة اللون، كتشبيه الحدود بالورد،

والشعر بالليل(...). وكتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور.

والثاني: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأويل ومثاله: وهو الشبه الذي

يحصل بضرب من التأويل، كقولك: "هذه حجة كالشمس في الظهور" وقد شبهت الحجة

بالشمس من جهة ظهورها.⁴

التمثيل: وهو التشبيه على سبيل الكناية بأن يراد الإشارة إلى معنى بألفاظ تدل على

معنى آخر تكون مثالا للمعنى المقصود الإشارة إليه، كقولهم: "فلان نقي الثوب" كناية

عن ترفعه وتنزهه عن العيوب. ومن بديع ما ورد من التمثيل الكناية عن الغيبقي قوله

¹ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص414.

² - المرجع نفسه، ص 415.

³ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص90.

⁴ - المرجع نفسه، ص92.

تعالى: { أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه } الحجرات 12. فقد مثل الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر.¹

- الكناية والتعريض:

إن الكناية والتعريض هما صورتان بيانيتان زخر بهما الشعر العربي القديم خصوصا في العصر الذهبي وهو العصر الجاهلي لما لهما من أثر في القوة والبيان كما يدلان على الفصاحة والبلاغة ويمكن تعريفهما على النحو التالي:

الكناية:

لغة: ما يتكلم به الانسان ويريد به غيره، وهي مصدر كَنَيْتُ أو كَنَوْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.²

اصطلاحا: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي نحو زيد طويل النَّجاد تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها.³

فالتعريض لغة: "خلاف التصريح.

واصطلاحا: هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق".⁴

وقد تعرض ابن الأثير إلى الكناية في المثل السائر ووجد أن الكثير يخلطون بين الكناية والتعريض، من أجل ذلك وضع حدودا بينهما، فالكناية عندهم هي "كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز

¹ - مختار عطية، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع دراسة بلاغية، الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 140.

² - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق ي الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 286.

³ - المرجع نفسه، ص ص 287 - 288 .

⁴ - السيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص 289.

والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشئ وتريد غيره، يقال: كُتِبْتُ بكذا عن كذا، فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته بغيره، وعلى هذا الأساس نجد أن الكناية هي تلفظنا بشئ ونحن نريد شيئاً آخر، وهذا الشئ الذي تلفظنا به له علاقة بالذي نريده، كقولنا: "شخص كثير الرماد" فنحن تلفظنا بالقول: "كثير الرماد" لكن نحن نريد معنى آخر وهو: أنه كثير الكرم والعطاء والجود. فنلاحظ أن "كثير الرماد" له علاقة بكثير الكرم والعطاء، ذلك أن "كثرة الكرم والعطاء" تقتضيان كثرة الطبخ، وكثرة الطبخ تقتضي كثرة الضيوف.¹

أما التعريض فيعرفه: "هو اللفظ الدال على الشئ من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنك إذا قلت لما تتوقع صلته ومعروفه بغير الطلب: "والله إني لمحتاج، وليس في يدي شئ وأنا عريان والبرد قد أذاني"، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفموضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجاز وإنما دل عليه عن طريق المفهوم²

ويمكن من خلال هذه التعريفات والحدود أن نجعلها بقول عبد القاهر الجرجاني "فقد زال الشك وارتفع في أن طريق العلم بما يراد إثباته والخبر به في هذه الأجناس الثلاثة التي

¹ - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، جع تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 62.

² - المرجع نفسه، ص ص، 66 - 67.

هي: الكناية والتمثيل=المعقول دون اللفظ، من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى

معنى ليس هو معنى اللفظ، لكنه معنى اللفظ عليه، ويستتبط منه".¹

نستخلص من التعريفات السابقة أن هناك فرق بين الكناية والتعريض، فالكناية تذكر

ويراد بها معنى آخر غير المعنى الحقيقي لكنها لا تمنع من ظهور المعنى الحقيقي، أما

التعريض فهو ذكر اللفظ لكن المراد منه يفهم عن طريق السياق، أي أن التلميح يغني

عن التصريح.

2- البديع:

يعد الجانب البياني سندا قويا يقف عليه المنشئ(المحاجج) للتأثير في المتلقي،

لهذا يعمد أصحاب النصوص الإبداعية إلى توظيفها وذلك لأجل تحقيق غايتهم

المنشودة ألا وهي إقناع المخاطبين، وزيادة موقفهم قوة ورصانة وبهاء وبيانا.

ومن هنا يمكن تعريف البديع على أنه "وجه تحسين أساليب وطرق معلومة وضعت

لتزيين الكلام وتنميته، وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبياني "ذاتي" وبعلم

البديع "عرضي" ووجه التحسين إما معنوية وإما لفظية.

أ-البديع المعنوي: هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير

الألفاظ".² ويتضمن: الطباق، المقابلة، التورية:

¹ - أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود محمد شاكر 3 طمكتبة الخانجي

للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص ص ، 283 - 284.

² - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص298.

(1) الطباق: جاء في معجم المصطلحات: "هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين

في الجملة"¹. وينقسم إلى قسمين:

أ) طباق الإيجاب: "وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا نحو: خير المال عين

ساهرة لعين نائمة. فالقول مشتمل على الشئ وضده (ساهرة ونائمة)".

ب) طباق السلب: وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، نحو قوله تعالى:

{ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } الزمر 9 فالفعل "يعلمون" أثبت في

الطرف الأول من الطباق ونفي ب (لا) في الطرف الثاني".²

(2) المقابلة: "هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو

المخالفة.

وجاء في الإيضاح "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما

أو يقابلها على الترتيب".³

3- التورية: "أن يطلق لفظ له معنيان: أحدهما قريب، والآخر بعيد، فيراد البعيد منهما

ويورى عنه بالقريب".⁴

¹ - محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البيدع، البيان والمعاني)، ط، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2003، ص65.

² - المرجع نفسه، ص68.

³ - محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المرجع نفسه، ص72

⁴ - السيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص 300

أي أن المعنى لا يكون جلياً بالنسبة للمتلقى إلا بعد انشغال ذهنه بالبحث عن المعنى الذي يقصده المرسل مما يكسب الكلام غموضاً مستحسنًا غير قبيح يزيد كلام المُحَاجِّج قوة وتأثيراً ويمكن أن يصل المتلقي إلى المعنى المقصود عن طريق ربطه بالسياقات المحيطة بالكلام.

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام: "مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومهيأة".¹

- المجردة: هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال: "هذه أختي" أراد أخوة الدين.

- المرشحة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد فكأنه ضعيف تقوى به.

- المبينة: "هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد، سميت بذلك لتبيين المورى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفياً فلما ذكر لازمه تبين، وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد".²

- المهيأة: "هي التي لاتقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضاً: فالأول: وهو ما تنتهياً بلفظ قبل، نحو قوله:

¹ - المرجع نفسه، ص 300

² - السيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص 300

وأظهرت فينا من سماتك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النَّدب فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان. والبعيد الفرض معناه العطاء، والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان. والثاني: وهو ما تنهياً بلفظ بعد، كقول الإمام علي رضي الله تعالى عنه في الأشعث بن قيس أنه كان يحرك الشمال باليمين، والبعيد جمع شَمْلَة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذي به التورية".¹

3- الآليات شبه المنطقية:

إن المرسل المحاجج غالباً ما يعتمد على ترتيب الحجج التي يرى أنها الأقدر على إقناع المتلقي ويجسدها السلم الحجاجي والروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية والقياس وصيغ المبالغة:

1- تعريف السلم الحجاجي:

"هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:²

أ - كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه".

¹ - المرجع نفسه، ص 300 - 301

² - الشهري، المرجع نفسه، ص 501 .

ب- "كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه".

و يخضع السلم الحجاجي لقوانين ثلاثة وهي:¹

1 - قانون الخفض: ومقتضاه " أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن

نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها .

2- قانون تبديل السلم: مقتضى هذا القانون الثاني " أنه إذا كان القول دليلاً على مدلول

معين. فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله."

3- قانون القلب: مقتضى هذا القانون " أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في

التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على

نقيض المدلول."

2- العوامل والروابط الحجاجية:

إن العوامل والروابط الحجاجية، مفاهيم أساسية في الحجاجيات اللسانية، وتشمل

اللغة العربية على عدد كبير من هذه العوامل والروابط ومنها نذكر: " لكن، بل، إذن،

لاسيما، إذ، بما أن، مع ذلك، ربما، إنما،... و تستتبع هذه الروابط علاقات حجاجية

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

قائمة على الحجج والنتائج، وقد تكون هذه الروابط صريحة أو مضمرة حسب السياق

التدلوي، ومن ثم يتحدث ديكر (o. dukrot) وأنسكومبر (j.c.anscombe) عن

التداوليات المندمجة (la pragmatique integree) التي تقرر الحجة بالنتيجة

بواسطة الروابط الحجاجية. وهذا ما دفع ديكر للتفكير في وضع مقارنة حجاجية لسانية

تهدف إلى وصف هذه الروابط الحجاجية في سياقها التداولي بعيدا عن وصفها النحوي

التقليدي".¹

إن كانت العوامل والروابط الحجاجية من أهم موضوعات الحجاج فما هي هذه العوامل

والروابط الحجاجية؟ وما هي وظيفتهما في الخطاب الحجاجي؟

أ- الروابط الحجاجية: " تربط بين قولين ، أو بين حجتين على الأصح أو أكثر الحجاجية

، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل

للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ،...إلى)، أما

الرابط الحجاجي (حروف العطف، الظروف...) فهو يربط بين وحدتين دلالتين (أو

أكثر)، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية

الحجاجية".²

فإذا أخذنا المثال التالي:

- زيد مجتهد إذن سينجح في الامتحان.

¹ - جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص 36.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ص 28-29.

فسنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة مستنتجة منها (سينجح)، وهناك

الرابط (إذن) الذي يربط بينهم¹

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط:

- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، لاسيما...)، والروابط المدرجة للنتائج:

إذن، لهذا، وبالتالي، ...).

- الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما، ...) والروابط التي تدرج

حججا ضعيفة.

- روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي

(حتى، لاسيما...) ².

أما العوامل الحجاجية" فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو

بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي لقول ما.

وتتضمن مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا ما، ... إلا، وجل

أدوات القصر.

ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس المثالين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة.

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

¹ - المرجع نفسه، ص30.

² أبو بكر العزاوي، المرجع نفسه، ص30

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا... إلا" وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانيات الحجاجية التي يتيحها"¹.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 28-29.

الفصل الثاني

آليات الحجاج

الفصل التطبيقي

1 الطرائق الحجاجية

2 الوسائل البلاغية

3 +آليات شبه المنطقية

تقديم:

سنحاول في هذا الفصل أن نتطرق إلى الآليات اللغوية التي استخدمها الصديق رضي الله عنه، فقد استخدم الروابط الحجاجية النحوية، ليكون النص منسجماً من ناحية كما استعمل السلم الحجاجي ليتدرج من الحجج الضعيفة إلى القوية ليصل إلى وجهته، وذلك حسب مقاصده، كما نجده كذلك قد لجأ إلى الأفعال اللغوية (الأمر النهي و الاستفهام) . كما سنتطرق إلى الوسائل البلاغية التي تمنح الخطاب الحجاجي، بعدا إقناعيا " فالأساليب البلاغية يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية، ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية"¹ وسوف نقوم بتحليل بعض النماذج الخطابية من خلال " كتاب جمهرة خطب العرب " والكشف كيف تعمل هذه الآليات وما مدى تأثيرها في الخطاب الحجاجي من جهة وعلى المتلقي من جهة أخرى.

¹ - صابر حباشة ، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، ص50.

1-الطرائق الحجاجية النحوية:

تنوعت القدرات الحجاجية في الخطابة، فقد يوظف الخطيب آليات نحوية أو نوع آخر من الآليات، ومن هنا كان العمل التطبيقي الحجاجي في الطرائق الحجاجية النحوية، من أجل أن نلتمس فاعلية الشحنة الحجاجية، فاللغة العربية مثلاً تشمل على عدد كبير من العوامل والروابط الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى قيمتها¹.

1-1 الروابط الحجاجية:

يقول أبو بكر الصديق في خطبته التي ألقاها في الوعظ والإرشاد بعد أن حمد الله وأثنى عليه " اللهم صل على نبيك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرة وأوردنا حوضه، اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا "²

نلاحظ خلال الخطاب استعمال المخاطب في الأول حرف الجر " على " وهي تفيد الاستعلاء³ ومنه نفهم أن أبا بكر يرفع من منزلة النبي - صل الله عليه وسلم - حيث

¹ - ينظر : جلييلة بنت سعيد بن سليم القاسمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية، مجلة دبي الثقافية نموذجاً، رسالة ماجستير، 2016، ص 161.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، ج 1، العصر الجاهلي - عصر صدر الإسلام، ط1، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الثاني الحلبي وأولاده، مصر، 1923، ص62.

³ - عباس حسن، النحو الوافي، ج2، دار المعارف، مصر، ص509.

استعمل حرف الجر "على" وأعاد تكريره ليرفع من قيمته، ويؤكد على أفضليته وقد

سبقها باسم

تفضيل (أفضل) ، ثم استعمل حرف الجر " من " وهي تفيد ابتداء الغاية" ¹ ليظهر

منزلة الرسول - صلى الله عليه وسلم - العالية ويبرز أفضليته واختياره على العالمين،

ومنزلة بقية الخلق المنخفضة، والمتدنية باستعماله حرف الجر "في" والملاحظ في هذا

المثال تنوع حروف الجر، فقد استخدم كذلك حرف " الباء" وهو يفيد الإلصاق، ومعنى

هذا أن يحشرنا في نفس المرتبة معه.

وقوله: (يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم) ² هذه الخطبة ألقاها

الصديق والتي حث فيها على الصدق والجهد في سبيل الله، وحذر من المعصية ومن

مخالفة ولي الأمر ما دام مطيعا لله تعالى، وأن التواضع من صفات المسلمين حيث

يقول

(ولست بخيركم)، وهو تعبير مؤكد بحرف الجر الزائد " الباء" وهو يدل على شدة

تواضع، وسمو أخلاق الصديق لهذا يجب على المسلمين أن يعينوا ولي الأمر ما أقام

فيهم من شريعة الله والتزم نهج الرسول - صل الله عليه وسلم-، وهذا ما أراد أبو بكر

إيصاله إلى رعيته بأنه ليس بأحسن منهم لأنه أعلى مرتبة منهم.

¹ - جرجي شاهين، النحو الوافي والبيان، دار الريحان للطباعة والنشر، بيروت، (دت)، ص373.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص72.

وقوله: (ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه)¹ فكل قوي يكون تجاه الدولة ضعيفا لأنها وحدها هي التي تملك أدوات الإكراه، إذ أن احتكار أدوات الإكراه إذا لم يكن مرتكزا على الشرعية، فالتعدي على حريات الأفراد وحقوقهم هو النتيجة الحتمية التي أشار إليها أبو بكر إلى حدود الاستعمال فقال: " حتى آخذ الحق منه"، فالملاحظ أن الرابط الحجاجي حتى يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي، فهي " تقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى التي تخدم النتيجة المقصودة " ² ذلك القيد إضافة لا شك تعزز من قيمة الفرد تجاه الدولة، وتحدّد بدرجة كبيرة من سيطرة الدولة بسلطانها على الفرد والمجتمع.

نستنتج في الأخير أن لهذه الأدوات دور حجاجي في إيصال المعنى الحقيقي إلى السامع، وذلك باتخاذ كل واحد منها المكان المناسب.

يقول أبو بكر الصديق في خطبته: " إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم (...) قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعد الموت."³

يظهر انتقال المخاطب إلى استعمال روابط حجاجية جديدة تمثلت في حروف العطف فقد استعمل في الأول " الفاء " ثم استعمل في الثاني " الواو"، ولما كانت وظيفة

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 72.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 83.

³ - أحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ص 74.

(الفاء) الجمع بين قضيتين فهي تدل على وقوع المعطوف بعقب المعطوف عليه أي أثره من غير مهلة¹ وفي هذا المثال جمعت بين انتهاء الآجال، وبين حملهم ما اخلفوا، حيث بدأ بنهاية الآجال أولاً، لأنه الأسبق ثم حمل تلك الأعمال، فكل إنسان يأتي يوم القيامة ومعه أوزاره. أما (الواو) فتكون لمطلق الجمع بين المتعاطفين فهي تستعمل لترتيب الحجج بعضها البعض، بل وتقوى كل حجة منها الأخرى²، وهنا جمعت بين السعادة والشقاوة، فالسعادة بعد الموت تكون لأصحاب الجنة، أما الشقاوة فهي للذين نسو لقاء ربهم، وغرتهم الحياة الدنيا.

كما أن هذه القضايا التي وردت في المثال، التي هي الموت والسعادة والشقاوة، هي بمثابة حجج متسلسلة ومتراصة بحرف الواو تؤكد على نتيجة واحدة، وهي أن الجزاء بما قدمت أيدينا فإما النار وإما الجنة، فهو أراد أن يذكر الناس بحتمية الموت، وأن كل من على هذه الدنيا فان فمن أراد الخلاص في الدنيا والآخرة فعليه أن يخلص في عمله.

ويقول في خطبة له: (ثم اعلّموا عباد الله، أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك موائيقكم وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ولا يطفأ نوره فتقوا بقوله)³ في هذا المثال استخدم حرف العطف (ثم)، التي

¹ - عباس حشن، النحو الوافي، ج2، دار المعارف، مصر، ص278.

² - ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص472.

³ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص72.

تفيد " التراخي " و نفهم من هذا القول أن الله لما وعد عباده الصالحين بالجنة، لم يدخلهم مباشرة كون أن الجزاء لا يكون إلا بعد الموت. وبما أن الإنسان يبعث إلى الكون يعيش ما قدره له الله، من الزمن ثم يموت، فمن أجل ذلك عطف بينهما ب "ثم" ليبين لهم أن الله لن يخلف وعده وأن الجزاء بما عملوا.

وما يمكن أن نستنتجه من هذه الأمثلة، أن حروف العطف المتمثلة في :الواو، الفاء، ثم، لها قيمة حجاجية تلقي على الخطاب نوعا من التنظيم والانسجام، وتساهم في تماسكه خاصة إذا استخدم كل حرف في مكانه.

2-1 العوامل الحجاجية:

العوامل الحجاجية في اللغة العربية أدوات القصر، وأدوات النفي والتوكيد وهي الأدوات اللغوية ، أما الأفعال اللغوية فهي الأمر والنهي والنداء كما ذكرنا سابقا.

يقول أبو بكر في خطبته: " يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني " ¹. هذه الخطبة ألقاها الصديق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ارتد في تلك الفترة العديد من القبائل، وخرجوا عن أمر الله لهذا لجأ الصديق لأدوات التوكيد وهي تمثل في الجملة حسب تعبير عبد الله صولة " إشارات حجاجية " إذ تظهر في المنطوق فتعلن ضرورة عن وجود الضمني وراء ذلك المنطوق (...). الناجم عن التوكيد بأنَّ وإنَّ مع اللام

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص72.

والقسم والقصر. ¹ ويتضح ذلك في خطبة أبي بكر الصديق " إني قد وليت عليكم ولست بخيركم" نلاحظ من هذا المثال أن الصديق بدأ كلماته المتواضعة التي تبني عليها فلسفة الحكم العادل، فهو لم يأخذ الحكم عنوة، ولم يسلبه سلبا، وإنما ولي ونصب بالرضى فلما قال " إني قد وليت عليكم" فهذا أسلوب مؤكد بمؤكدين (أن+ قد+ الفعل الماضي) فإن- كما قلنا سابقا- تفيد التوكيد فهي في هذا المثال تبين أن أبي بكر ليس بأفضليته عُن خليفة بعد النبي- صلى الله عليه وسلم- وإنما الأمة هي التي ولته هذا المنصب فتجهيل الفاعل هنا تفخيما لشأنه، " فإن " هنا تستعمل كمؤكد للمقدمات وتجعلها أكثر إقناعا في ذهن المتلقي، فهي تنسب للجملة التي بعدها حكما بالإثبات والتوكيد أو حكما بالنفي" ² وفي هذا المثال نجدها أثبتة الجملة التي بعدها خاصة عندما اقترنت ب " قد" التي تفيد التحقيق إذ دخلت على الماضي وبهذا فإنه في هذه الخطبة أراد أن يحقق دلالات أخرى أهم من الوصف والإخبار، كان أهمها دفع الشك والظن والتكذيب و وبواسطة التوكيد "أن" استطاع توجيه ذهن المتلقي من الوجهة التي رسمها له في الإقناع، وأيضا مجيء الإخبار بالجملة الفعلية الماضية، وذلك لإفادة تحقيق الأمر فالتوكيد يستند إليه المحاجج ليجعل المتلقي يسير في الاتجاه، الذي يرسمه لنا فلو حذفناه من الخطبة لتحولت إلى خطبة خالية من الحجاج.

¹ - خالد إسماعيل، الطرائق الحجاجية في الخطابة السياسية، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الوقار، (ع) آذار

2015، ص18.

2- المرجع نفسه، ص167.

*التكرار: هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو

ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسما عاما وهو أنواع¹ :

التكرار الكامل: ويمكن تسميته بالتكرار التام وله علاقة بالشكل إذا يتكرر اللفظ بنفسه

وكله تكرار المعني ويحدث هذا في الألفاظ كما يحدث في الجمل².

ومن الأمثلة الواردة في خطبة أبي بكر الصديق يوم قبض الرسول صلى الله عليه

وسلم فقد تكررت لفظة "أشهد" ثلاث مرات (03) وهذا في قوله " أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وأشهد أن الكتاب كما نُزِّل " .

وتكررت لفظة "الموت" ثماني مرات(08) " طبت ميتا وانقطع لموتك..." وتكررت لفظة

محمد أربع مرات (04) " اذكرنا بمحمد، سيدنا محمد،..." وتكررت لفظة النبوة أكثر

من ست مرات (06) " أحد من الأنبياء من النبوة ، نبيكم، نبيك،..." ومنه ربط معاني

الخطبة بتكرار لفظة "محمد" مع تكرار ألفاظ الموت والشهادة والنبوة وكلها تشكل محور

الخطبة فهي تبين وتؤكد أن أبا بكر يشهد ويقر بموت نبي من الأنبياء الله تعالى وهو

محمد صلى الله عليه وسلم والتي يذهب إلى إثباتها في خطبته فقد كانت مشاعر

الصديق صارمة حازمة قوية، لا لين فيها ولا تهاون ولا تعاطف، فعند وفاته - صلى

الله عليه وسلم- كان الناس في أمس الحاجة لمن يشد على أزهرهم ويوقظهم من غفلتهم

¹ - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة الخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة بسكرة ص280.

² - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية " دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي"، ص213.

من هول الصدمة، وجاء الصديق ليكشف الحجاب عن عيونهم بكلماته المقنعة أن هذا الدين لا ينتهي بإنسان ولو كان نبيا، فهو قائم بإرادة الله عز وجل. كما يقول في خطبة أخرى له " فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فأياكم أن تكونوا أمثالهم الجد الجد، والوحا الوحا، والنجاء النجاء" ¹ فيذهب التكرار مذهب الحجاج الإقناعي للمتلقي فهنا يؤكد الصديق على ترسيخ فكرته في ذهن المتلقين وهي الابتعاد عن الإنغماس في مغريات الدنيا وشهواتها ونسيان الآخرة وعدم نسبتهم أعمالهم إلى غيرهم. بالإضافة إلى التكرار الإشتقائي " ويقوم هذا النوع بتكرار كامل للفظ والمعنى وإن تغير المعنى بين اللفظتين في دلالة الجمل المتصلة بهما، ² ومن الأمثلة ما ورد في خطب أبي بكر : " الحديث، حدث" في قوله " وإن الحديث كما حدث" ، و في قوله "وأن القول كما قال" أطيعوني، أطعت" و في قوله " أقول قولي".

يقول أبي بكر الصديق في خطبه نذكر منها قوله :

- " فإن الله حي لا يموت .. فعظمت عن الصفة و جللت عن البكاء". ³

- " صاروا رميما...، صارو كلا شئ...، صارو ترابا". ⁴

ونلاحظ في هذه الأمثلة أن أبا بكر قد لجأ إلى نوع آخر من التكرار وهو

التكرار بالترادف، " وهو تكرار المعنى واللفظ مختلف وهذا التكرار يتعلق بالدلالة،

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص68.

² - المرجع نفسه، ص215.

³ - المرجع نفسه، ص66.

⁴ - المرجع نفسه، ص69.

ويبني مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى¹، حيث يكون الترادف بين مفردتين داخل جملة أو عبارة وما يسوغ حجاجية هذا النوع من التكرار هو تزويد النص بمعاني أخرى في جميع المعاني المشتركة وبثها في ذهن المتلقي، ليفهم المعنى العام للنص لأن هذا التكرار يساهم في تثبيت معنى ألفاظ مختلفة ومتعددة، فترى المحاجج يلجأ إلى هذه الوسيلة اللسانية لتكون وسيلة حجاجية تقنع وتؤثر وقد ورد هذا التكرار في خطب أبي بكر الصديق بشكل مكثف.

نورد في هذه الفقرة مثال يحمل أنواع التكرار الثلاث: ورد في خطبة الخليفة أبي بكر يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم: (بأبي وأمي طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة، وعممت حتى صرنا فيك سوء². و قوله أيضا في خطبته "إياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود" أراد الخطيب من خلال هذا التنبيه عن سيئة التفاخر بناء على استفتاحه بلفظة "إياكم" إحدى وسائل التحذير من أجل أن ينبه المتلقي من أمر مكروه يجتنبه، وفيه تكرار مفردتي " الفخر " مرتين، " والتراب " مرتين كذلك لأن التكرار وسيلة يلجأ إليها الخطيب، لشد انتباه المتلقي، فمواقف التحذير تستدعي ذلك. حيث يقول " العزاوي " أن

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص 261.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 66.

التكرار ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، ولكنه الذي يدخل ضمن عملية بناء النص، وهو الذي يضمن انسجام النص.¹

وما يمكن استخلاصه من حاجية التكرار بأنواعه في خطبته تركيزه على تكثيف المعاني وهذا بتوظيف التكرار بالمرادف لجعل المعاني تحيط بالمتلقي من جانب وإقناعه وبهذا التحليل والتطبيق التكرار الوسيلة اللسانية الحجاجية ، تؤكد أن التكرار بأنواعه قد شارك في إقناع المتلقي.

*الحجاج بالقصر:

يعد القصر من العوامل الحجاجية "التي يستعملها الخطيب لتوجيه خطابه الوجهة التي يريد، فهو توكيد مضاعف له بعد حاجي أعمق، وأنجع في توجيه المتلقي إلى النتيجة المضمرة ويستعمل في حال إنكار المتلقي للخبر ويكون ذا قيمة حجاجية عالية فالغاية من وروده تكون لتمكين الكلام وتقريره في الذهن" ². ويكون القصر لأدوات منها: (إنما النفي والإستثناء).

كان جيش أسامة بن زيد مهياً أن يتوجه إلى فلسطين فاتحاً، ولكن شاءت الأقدار أن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإرتد العديد من العرب فخاف عمر رضي الله عنه، أن يرسل جيش أسامة ليكمل ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم به، فقال له الصديق " لو علمت أن السباع تجري برجلي إن لم أرد ما رددته، ولا

¹ - ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص48.

² - خالد اسماعيل، الطرائق الحجاجية ، ص167.

حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم " ¹ ثم نادى أبي بكر ليتم بعث أسامة وألا يُبقين بالمدينة أحدا من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: " أن الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع" ². وقد استعمل الصديق الحجاج بالقصر " إنما" حيث قال " إنما أنا متبع ولست بمبتدع" و تكمن حاجيتها في " أنها تأتي لإثبات ما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه " ³ هنا في هذا المثال جاءت " إنما" لتؤكد خبرا لا يجهله المخاطب، فهو لم يرد أن يخبرهم ويعلمهم بأنه ليس مبتدع فهو الذي وقف معارضا، كل من حاولوا صرفه عن حرب الردة فأعلن أنه ملزم بتطبيق قواعد الإسلام كما تلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعلن عن ضرورة تحصيل الزكاة لأنها ركن من أركان الدين. ونفهم من هذا القول انه أراد أن ينفي كونه ليس بمبتدع وإنما متبع، وهنا الخطاب موجه لمن يعتقد انه ليس متبع ل لرسول صلى الله عليه وسلم، فهنا أفادت إنما " إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره" ⁴.

*النفي والإستثناء (لا - إلا)

¹ - علي الططاوي، أبو بكر الصديق، ط3، دار المنيرة، 1976 ، ص172.

² - أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب، ص68.

³ - عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحو من الوجهة البلاغية، دار المريخ، الرياض، (دت)، ص112.

⁴ - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص216.

وهذا القصر باستخدام أداة النفي "لا" و"إلا" الاستثنائية التي تعني "الإخراج بإلا
 وأحد أخواتها لما كان داخلا في الحكم السابق عليها" ¹ تشكل أوجه الحجاج من
 النفي والاستثناء بنفي النتائج التي تذكر أولا ، ويكون الكلام بعد "إلا" على شكل حجج،
 وقد استعمل أبا بكر القصر في مواضع كثيرة في خطبه، ونراه قد أدى وظيفة حجاجية
 تجعل المتلقي ينفاد نحو الحكم الذي تصدره "إلا". وهذا مايزيد في نفي وعدم تصديق
 النتائج المذكورة قبلها، وعمل "إلا" الاستثناء وعمل "لا" النفي. وهذا ما يجعل ما تثبته
 "إلا" أكثر إقناعا وأقرب تصديقا من ذهن المتلقي. إذن النفي باستعمال "إلا" يزيد في
 إثبات الكلام الذي ترد بعد "إلا" والإثبات باستعمال "إلا" يزيد في نفي النتيجة والتي ترد
 بعد "لا"، فنجد أن إ' لا "تسقط ما بعدها من المعنى الذي قبلها، ومخالفته للتقدم عليها
 فيما تقرر من أمر مثبت أو منفي " ² وهذا حجاج نحوي يجسده القصر . ومن الأمثلة
 الواردة في خطبة أبي بكر رضي الله عنه قوله: "إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال
 إلا ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم" ³ هذه الجملة مقيدة بأداة النسخ "إن" وحرف
 النفي لا + أداة الإستثناء إلا أسلوب قصر + عطفه بالفاء + جملة فعلية (فعل الأمر +
 فاعل) ضمير المتصل + واو الجماعة) + شبه الجملة جار ومجرور ، فنرى أن الكلام
 الذي ورد بعد "لا" يمثل نتيجة مقدمة وهي انه لا يقبل الله إلا الأعمال التي أريد به

¹ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص335.

² - عباس حسن، النحو الوافي ، ص315.

³ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص69.

وجه وهذا يزيد في إثبات الكلام الذي ورد بعد "إلا"، وهو ممثل في حجة نجاة الذي يريد وجه الله وحده وهو أسلوب خبري إنكاري مثبت بأن التي تثبت الخبر، إضافة إلى قصر قبول الله الأعمال الصالحة.

كان من خبر الأنصار أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - سعد بن عباد، وأخرجوا سعدا إليهم وقالوا: نحن أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالخلافة، فحدث بين المهاجرين والأنصار خلاف، فنهض أبو بكر الصديق مخاطبا إياهم: " نحن المهاجرون وأنتم الأنصار (...) فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لاتفتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور".

الحصر في هذا البيان الحجاجي، على أن أمرا محصورا في جماعة من الناس كان لهم فضل الله في قريهم من رسوله قبلها وفي الأسبقية في الإيمان فقد افتتح خطابه الحجاجي بأداة النفي "لا"، التي يكون منفيها غير مقيد بزمان الحال والاستقبال بل هي صالحة لهما، وفي تقديم الجملة الاسمية "نحن المهاجرين" إشارة إلى أن ما تقدموا سابقا هم أولى به لاحقا هو خاص بهم، إذ أن طريق النفي والاستثناء تؤكد الكلام تأكيدا حاسما ، بقطع شك المخاطب ويدحض الموقف المخالف.

وبهذا استطاع أبو بكر أن يخمد نار الفتنة برجاحة عقله، فكانت بيعة أبي بكر يوم قبض الرسول - صلى الله عليه وسلم- في الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة للهجرة، وبايعه كل من عمر رضي الله عنه وسعد بن عباد¹.
كما استعمل أبو بكر الصديق الأفعال اللغوية التي تساهم كل منها بأدوار مختلفة في الحجاج.

*الاستفهام:

قد يكون الحجاج من خلال استعمال الأسئلة " التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري، حسب ما يقتضيه الاستلزام الحواري، فالأسئلة أشد إقناعاً للمرسل إليه وأقوى حجة عليه وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر " ² كما في قول أبي بكر الصديق في خطبة له بعد البيعة التي يخاطب فيها يقول فيها " اعتبروا عباد الله بمن مات منكم (...)، أين كانوا أمس، وأين هم اليوم، أين الجبارون وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب (...) وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها... " ³ فهو عندما بدأ كلامه بفعل " اعتبروا " وبما أن لهذا الفعل علاقة بما تتركه الأغراض الإنجازية في المتلقي من خلال أبعاد التنبيه والتذكير والنصح والإرشاد وهو ما يسمى بالقوة الإنجازية، فإن المخاطب عمد إلى هذه الأبعاد حتى يستقر

¹ - ينظر: علي الططاوي، أبو بكر الصديق، ص 159-160.

² - جميلة بن سعيد بن سليم القاسمية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية، مجلة دبي الثقافية نموذجاً، رسالة ماجستير، اللغة العربية و آدابها - أدب حديث-، جامعة نزوة عمان، 2016، ص 201.

³ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 69.

مفعولها في ذهن المتلقي، وإن كان لفترة محدودة المدى، بناء على محاور بعيدة
التناص تمت بينه وبين بنيات جاهزة منقولة، على لسانها علما أن لهذه المحاور أصولا
مفاهيمية في البلاغية العربية، حيث أسهم التلميح إلى أبعاد الماضي بما فيها من
أحداث وأخبار. (عباد الله) وبالتالي قد يكون لهذا القول سلطة خطابية على المتلقي،
لأن الخطيب نجح في إختيار البنيات المناسبة، بناء على توافق مضامنها مع موضوع
الخطاب من جهة، ومن جهة أخرى لأن معانيها وأساليبها مقتبسة من القرآن الكريم،
وتم ذلك على اعتبار الخطيب قد قدر مكانة المتلقي، وأدرك أن أنجع السبل للتأثير
فيه وأنفع الوسائل لمخاطبة عقله ووجدانه في حقائق التاريخ ومعاني القرآن، بما "أن
الأفعال الإنجازية أفعال تأكيدية يقينية"¹ فيدرك المرسل في هذه الأسئلة مسبقا أن
المرسل إليه لا يخالفه إلى حد كبير في أي جواب، من الأجوبة المتوقعة، فهي
مسلمات يعرفها كل من طرفي الخطاب، وهذا ما يجعل الصديق يختار هذا الضرب
من الحجاج دون غيره، وهذا ما يعرف بالاستفهام غير طلبى، فالمرسل ليست غايته
الحصول على الجواب من وراء هذه الأسئلة، فهو يعرف أنها أمور لا اختلاف فيها،
فكل البشر على اختلافهم من قوي وضعيف وغني وفقير يشربون من كأس واحدة وهي
كأس الموت المحتم، لذلك عليهم أن يأخذوا العبرة ممن سبقوهم لأن عجلة الزمن لن
تتوقف ولن نعود إلى الوراء لنصح ما اقترفت أيدينا.

¹ - هناء حلاسة، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، مذكرة ماجستير مخطوطة، جامعة محمد خيضر،
بسكرة، 2014، ص94.

فالاستفهام الحجاجي هو " نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية"¹.

وبذلك استطاع الخطيب من خلال هذا الاستفهام أن يزيد في درجة اقتناع المتلقين بكلام الصديق فما قاله يعتبر بمثابة مسلمة متعارف ومتفق عليها بين الطرفين، فهم متأكدون مما قاله الصديق ولا يمكنهم الاعتراض على أي شيء، فالصديق يعلم أنهم يعرفون كل ما قاله وإنما أراد التذكير وذلك طبقاً لما نص عليه القرآن الكريم على أن الذكرى تنفع المؤمنين.

*الأمر والنهي:

هو أسلوب إنشائي ينتمي إلى " الأفعال التي سماها أوستن بالأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معينة ولكنه إنجاز ضمني "² ويعتبر فعل الأمر من أساليب الإنشاء الطلبية، وهو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء"³ والأمر في الخطبة طلب لأمر شرعي، يقول أبو بكر في خطبته في الزهد: " فإن كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص57.

² - جميلة بنت سعيد بن سليم القاسية، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية مجلة دبي الثقافية نموذجاً، ص203

³ - علي الجارم ومصطفى أمين، البيان المعاني البديع ودليل البلاغة الواضحة، ط 1، دار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص291.

يعفوا لها الأثر وتموت السنن فألزموا المساجد" ¹ نجد الخطيب هنا يوجه خطابه

للمسلمين فبعدما اختلفوا في الخلافة وارتد العديد منهم فخاف الصديق لهذا نجده يأمرهم بأن يتمسكوا بسنة رسول الله ولا يتركوها، وأن يلزموا المساجد وقد أعقبها أبو بكر بالفاء فهو يأمرهم بتنفيذ الأمر مباشرة دون انتظار فهو حكم لا يقبل المناقشة.

ويقول أيضا: "فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكم أن تكونوا أمثالهم"

هنا في هذا التركيب نهى وتحذير، فهو يحذرهم من أن يكونوا أمثال الذين سبقوا وغرتهم الدنيا فاحذروا عباد الله أن تكونوا أمثالهم. إن الأمر والنهي يحملان الدعوة ومن ثمة تبدو صلتها بالحجاج، وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين.

***فعل النداء:** يعد النداء من الأدوات الحجاجية الناجعة التي يعتمد عليها الخطيب لتنبيه المتلقي وجلب انتباهه " وهو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم" ². وقد بدأ أبو بكر خطبته بعد الحمد والثناء بالنداء "أيها الناس" ونجد أن أغلب خطبه بدأت بأسلوب النداء وأول ما يلاحظ في هذا النداء، أن الصديق استغنى عن أداة النداء "يا"، وهو نداء للتنبيه حذفت أداته للتنبيه، والغرض هنا تحقيق القرب والتلاحم بينه وبين الرعية، فكان الناس قريبون إليه يناديهم بأرق النداء وأعذبه، ليقنعهم إلى ما يلقي عليهم، من حسن التوجيه وسديد الإرشاد وهذا دليل على قرب

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص70.

² - عباس حسن، النحو الوافي، ص1.

المنادى للمنادي، فهو عندما ناداهم انطلق من كونه واحدا من الناس، إذ انطلقت من أنك واحد منهم أحبك الناس، وأقبلوا عليك، أما إذا انطلقت من أنك فوقهم انفضوا حولك. "يا أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم"¹ فكأنه هنا يقول أيها الناس لكم دور إيجابي مع الخليفة.

نستنتج في الأخير أن الأساليب الإنشائية، لها دور هام في العملية الحجاجية، فهي لا تتقل واقعا ولا تحكي حدثا، فلا تحتل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنما تثير المشاعر وتستدعي العواطف والأحاسيس، وتشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة، لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا، ما يقوم عليها المخاطب الحجاجي ولهذا نجد الخطيب استخدم النداء وأفعال الأمر والنهي.

أما بالنظر إلى إستراتيجية الحجاج، وهي الإقناع التي يعتمد عليها في قيامه وتكون هدفا لممارسته من قبل المتكلم فإن الوسائل والتقنيات التي تقع تحت إستراتيجية الإقناع هي:

1-الوسائل اللسانية: ونقصد بها أدوات الاتساق والترابط والانسجام ومنها الإحالة والتي تكمن حجاجيتها في "أن العناصر المحيلة كيفا كان نوعها، لا تكثف بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وهي تنقسم إلى نوعين إحالة نصية، ومقامية وتنقسم الإحالة النصية إلى قبلية وبعدية"².

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 67.

² عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص 280.

أما الإحالة القبلية فهي إحالة "تعود على لفظ سبق التلفظ به حيث يستبدل اللفظ الأول المذكور الصريح بما يعوضه ويقوم مقامه"¹ ومن الأمثلة الواردة في الإحالات القبلية

خطب أبي بكر الصديق خطبة له في النصارى حيث يقول "يا معشر الأنصار إن شئتم أن تقولوا إنا أوبناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم وإن بكم من الفضل ما لا يحصها لعدد"². هنا يخاطب أبو بكر الصديق النصارى

بالضمير انتم المتمثل في لفظة أوبناكم وهي إحالة قبلية إلي لفظة النصارى أما الضمير "النون" يمثل إحالة قبلية على لفظة "النصارى" والضمير "كم" والنون يمثلان الضمائر المتصلة تكمن في كونها تنوب عن الأسماء والأفعال والعبارات، والجمل مما تساعد على الترابط، فناب الضمير "كم" وإحالة قبلية على لفظة "معشر" وناب الضمير "ن" وأحال قبلية إلي لفظة "النصارى".

أما الضمير المستتر: فمثاله في قول أبي بكر رضي الله عنه في خطبته: " أن الله اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضته إلي ثوابه وخلق فيكم كتاب وسنة نبيه" وأما الإحالة البعدية فهي كما يقول عباس حشاني "إذا كانت الإحالة القبلية تعود على لفظ سبق التلفظ به، فإن الإحالة البعدية تعود على لفظ لم يتلفظ به لفظه به بعد، وإنما يكون اللفظ المذكور بعدها مثل أسماء الإشارة"³.

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص222.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص74.

³ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص224.

- الإشارة: توظيفها حجاجيا يقوم مقام الاسم وينوب عنه وعن الفعل والجمل ومن الأمثلة الواردة في خطبة ابي بكر الصديق رضي الله عنه قوله : " ليس من هذه الأمة يطلبه بمطلبه " ¹ أحال اسم الإشارة هذه على لفظ ذكر بعده وهو الأمة. كما يؤدي اسم الموصول دورا حجاجيا بالإحالة إلى ما سبق أو نفي ما يأتي بعده بمعنى أنه يفيد أو يحيل إحالة قبلية أو إحالة بعدية ومثال قوله "أين الذين بنو المدائن ونصبوها" "أين الملوك الذين اثار والأرض وعمروها" ².

- الأسماء الموصولة: قد أحال اسم الموصول "الذين" في هذين المثالين إلى إحالة بعدية، فالأولي تحيل إلي الذين بنو المدائن وذهبوا وتركوها أما الثانية فتحيل إلى الملوك الذين عمرو الأرض وأثاروا فيها. نخلص إلى أن أسماء الإشارة وأسماء الموصول والضمائر بأنواعها تتخذ من الإحالة مجالا لتظهر حاجتها في الاستعمال .

2 الوسائل الأصولية والفلسفية:

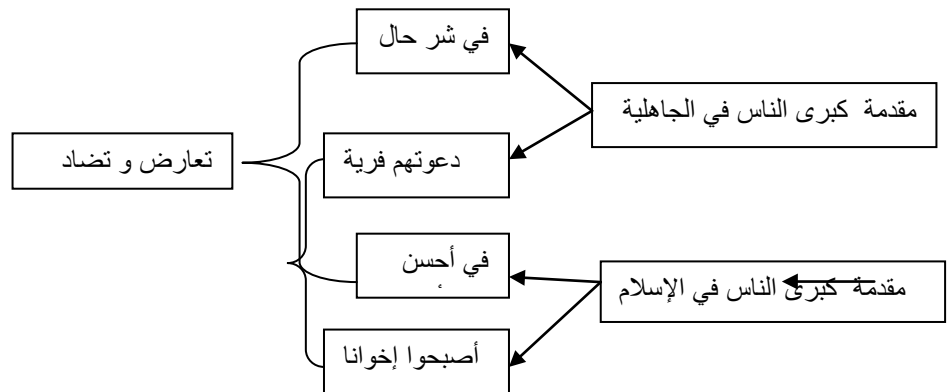
-القياس: القياس آلية منطقية حجاجية، يمكن للمحاج أن يعتمد عليها في إقناع المتلقي، فهو آلية من آليات الحجاجية التي يعتمد عليها في الخطاب الحجاجي " حيث سماه " طه عبد الرحمن" بالاستدلال الكلامي في كتابه "أصول الحوار

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص76.

² - المرجع نفسه، ص69.

وتجديد الكلام"، وهو ما يعرف بالقياس والمماثلة¹ والقياس ثلاثة أنواع وسنورد أمثلة عن ذلك:

يقول أبو بكر في خطبته: (والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة ودعوتهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وألف بين قلوبهم، فأصبحت بنعمته إخوانا)² وسنستخرج القياس من هذا القول:



نفهم من هذا القياس وهو قياس بالتعارض والتضاد، أن أبا بكر يحاول من هذا الخطاب، أن يثبت ويبين كيف كان حال الناس في الجاهلية من تشتت، وتفرق وظلم إلى أن جاء الإسلام، ورفع الحجاب وظهر الحق وزهق الباطل، فقد بين كيف أن الإسلام ألف بين قلوبهم وجعلهم سواسية لا تفريق بينهم، وللاقناع بأهمية الإسلام من خلال قياس ومقارنة أيام الإسلام بعدها.

¹ - عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ص90.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص71.

أما القياس المنطقي فنمثل له بقول أبو بكر في خطبته: (هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فتقوا بقوله، وانتصحو كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنه خلقكم لعبادته، ووكّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون)¹

نفهم من هذا القول أن الصديق، يحاول من خلال هذا القول أن يرشد الناس إلى كتاب الله، وأنه موجود فيه كل شيء بحيث لا تفنى عجائبه فهو صالح لكل زمان ومكان، فهو من خلال خطابه يحاول أن يرغبهم بالدين. ومن جهة أخرى نجده في بداية الخطاب بدأ بالاعتباس من القرآن الكريم، الآية الكريمة التي خاطب بها الله عباده الصالحين، الذين كانوا يسارعون إلى فعل الخيرات، ويفعلونها في وقتها على أكمل وجه، ويسألون عن الأمور المرغوب فيها والمرهوب منها، وهم راغبون لا غافلون، وعلى هذا فإن أرادوا السعادة في الدارين، فما عليهم سوى أن يتمسكوا بكتاب الله.

إلى جانب القياس المضمّر والقياس المنطقي، نجد نوعاً آخر من القياس، وهو القياس المضمّر ونمثل له بقول الصديق في خطبته: (فإن القصد أبلغ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حِسبة له، ولا عمل لمن لا نية له)².

هذه الخطبة ألقاها الصديق في ندب الناس لفتح الشام، وفيها يحث على الجهاد في سبيل الله، وقد قام هنا في هذا المثال بحذف المقدمة الكبرى، وهي شرط

¹ - المرجع نفسه، ص73.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص78.

من شروط القياس المضمر، وجعلها مبنوثة في المقدمة الصغرى وبالتالي إشراكه في القضية.

من خلال هذا القول نستنتج أن الصديق يدعو إلى الجهاد فهو ذروة الدين التي يحفظ بها الدين الإسلامي ويتسع بها، وبه ينتصر الحق على الباطل، فقد شرع الله الجهاد ليميز به الصادقين الذين لا يتحيزون إلا لدين الله من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان، وهم يتخذون الولاء لغير الله . وسنورد شكل القياس المضمر على النحو التالي:

مقدمة (محذوفة) : الثواب على الجهاد في سبيل الله

مقدمة صغرى (مذكور) ← -انه لا دين لمن لا نية له

نتيجة (مذكورة) ← -لاعمل لمن نية له

2-الوسائل البلاغية: إن الحجاج يؤثر في الخصم بالمجاز حيث يعتمد فيه المتكلم للحجاج بمعناه الباطن المشار إليه لأن الكلمة في المجاز تنقل من معناها إلى معنى ليس بحقيقة.

*الكناية: تعد الكناية من أنواع المجاز الحجاجية، ويكمن هذا في الرمز الذي تتشوه فهي احتجاج لقضية عن طريق الرمز، والمراد " بالكناية " هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى

من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلي معنى هو تأليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه، ويجعله دليلاً عليه".¹

قد استعمل الصديق بعض الكنايات وهذا لبلاغتها الحجاجية ومن أمثلة ذلك يقول في خطبته " في ظلمات الجاهلية " فكنى عن العصر الجاهلي في قوله " ظلمات " فالكناية في هذا التركيب، عن صفة الجهل، وفيها يؤكد ويثبت أن الناس كانوا يعيشون في جهل يفعلون الفواحش ويعبدون الأصنام ويشركون بالله، ووأد البنات وقد كنى عن كل هذا بالجهل وهذا ليس معناه أنهم كانوا لا يقرؤون ولكن جهل في الأخلاق السيئة كما سبق ذكره. والغاية الحجاجية هي أن يثبت الحالة التي كانوا يعيشونها وكيف أخرجهم من الظلمات إلى النور، وتكمن بلاغة الكناية في كونها إفشاء الغليل من الخصم.²

* التشبيه: هو عقد مقارنة بين شيئين، وبيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة.³

يقول أبو بكر "وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره"⁴ تشبيه بليغ، شبه هنا الكتاب بـ "الضوء" أو بالمصباح الذي يسطع بنوره، فيضيء كل من حوله فالقرآن الكريم لما أتى أخرج الناس من ظلمات الجهل وفساد الأخلاق الذي كان يتخبط فيه المجتمع الجاهلي فبين الحقوق والواجبات وبين الحدود في كل الأمور بفضل إعجازه ويتبين ذلك

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

² - عباس حشاني، مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، ص 226.

³ - علي الجارم - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 20.

⁴ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 73.

من خلال قوله - عز وجل- " فلما أضاعت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبصرون" الآية 17 سورة البقرة. فهذا المثل كناية عن يوم القيامة أي أنه أراد من خلاله أن من لا يعمل بما نصه الله في كتابه من نهى للفواحش وعمل الخير، فلا يجد يوم القيامة من ينير طريقه فالأعمال الحسنة تنير لصاحبها. فالتشبيه يوظف من أجل التأثير في المتلقي.

و قوله أيضا " إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما في يدي غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الإشفاق فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن" ¹ هنا في هذا المثل شبه الملك الذي لا ينفق بالدرهم القسي فهو قاسي لا ينفق من ماله.

و " السراب الخادع" شبهه بالسراب لأن السراب غير موجود فهو مجرد خيال ولما قال: " جذل الظاهر حزين الباطن" فهو في الأول شبهه بالدرهم لأنه ذو وجهين فكذلك الملك يظهر من الشكل الخارجي أنه سعيد ومرتاح البال، لكن في حقيقة الأمر هو حزين. وقد استعمل التشبيه ليثبت حججه، ويؤثر في المتلقي ويقنعهم بأن الملوك هم أشقى الناس في الدنيا وأشدّ الناس محاسبة يوم القيامة والفقراء هم المرحومون فيها، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بسنة نبيه، وأخبرهم أنه سيأتي دهر يكون الدم فيها مفاعاً والباطل منتشر

¹ - المرجع نفسه، ص 60.

وتموت السنن فإذا جاء هذا الوقت فعليهم أن يلزموا المساجد ويستشيروا القرآن ويلزموا الجماعة.

* الاستعارة: جاء في أسرار البلاغة للجرجاني " اعلم أن الإشارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروف تدل عليه الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون كالعارية"¹ فالاستعارة هي انتقال اللفظ من أصله اللغوي أي أن الشاعر أو الأديب أو الخطيب يستعمل الكلمات ويحورها حسب مقتضى الكلام أو حسب ما يريد إيصاله إلى المتلقي، لكنه يؤلف بين الألفاظ بطريقة أدبية راقية تدل على فصاحته وقوة بيانه.

حيث يقول الصديق في خطبة له في الزهد: " أشرب قلبه الإشفاق "² هنا في هذا المثال شبه الخطيب القلب بإنسان يشرب، فحذف المشبه به الإنسان وترك لازم من لوازمه من باب الاستعارة المكنية . يقول "صابر حباشة " " ولعله من الطريف بمكان الإشارة إلى أن الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل هي تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج). ومن هنا يتبين أن معظم الأساليب البلاغية

¹ - الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص28.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص60.

تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية¹.

نفهم من هذا القول أن الأساليب البلاغية تخرج في خطب الصديق من وظيفتها الجمالية في البلاغة القديمة إلى الوظيفة الحجاجية وهذا بفضل مرونة الأساليب البلاغية وقابليتها للتغير وأداء أغراض مختلفة كالتواصل والحجاج.

وقد استعملت الاستعارة في المثال المذكور سابقا، لتكون حجة قوية تدعم الحجج التي قبلها وتصل بالمرسل إلى تحقيق هدفه الحجاجي. فالاستعارة أفضل ضروب المجاز، وأشدّها وقعا على النفس وتأثيرا في العقل وكونها تركيب فيه علاقة مشابهة، حيث " أن الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لإرتباطها بمقاصد المتكلمين"² إن المحسنات البديعية هي الأخرى يمكن أن تؤدي الوظيفة الحجاجية يقول "صابر حباشة" في كتابه " التداولية والحجاج " " إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع"³.

¹ - صابر حباشة، التداولية والحجاج " مداخل ونصوص " ، ص50.

² - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

³ - صابر حباشة، التداولية والحجاج "مداخل ونصوص" ، ص51.

إن البلاغة العربية تزخر بالمحسنات البديعية ويعتبر السجع من الجماليات البلاغية والمحسنات البديعية اللفظية التي تقضي نوعاً من التخفيف في استشراق الحجاج" هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره ¹ ويقول أبو بكر الصديق في خطبته بعد البيعة "إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدوني" ² نلاحظ بين العبارتين مقابلة وسجع يعطي جرساً موسيقياً يهز الأذان والعواطف ويدعن السامع، وهذا ما يجعل المسلمين يقتنعون بكلام الصديق من غير أن يخالجهم أي شك في كلامه، وقد أراد بهذا الكلام أن كل إنسان ولاه الله منصباً ينبغي أن يفهم من حوله أن النصيحة أمانة وأن ترك النصيحة خيانة للأمانة، هكذا هو المجتمع المسلم البديل عن المنافقين، الحسد إذا أحسنت والفضيحة إذا أسأت، هذا مجتمع المنافقين، وقد جسد قوله مبدأ أن الإنسان غير معصوم من الخطأ واعترافه بأن لديه شيطان يعتريه، وهذا لا يقلل من استحقاقه للخلافة لأن الآيات الكريمة مليئة بذكر الشيطان، فهو باعترافه هذا ينصح المسلمين، باتقاء وقت عصبية حين يأتيه الشيطان. نستنتج أن السجع في الخطبة يكسب المعنى بيانا واللفظ رونقا وبهاء مما يزيد في درجة إزعاج المتلقي واقتناعه، وقد استخدمه الصديق كذلك في مجموعة من خطبه منها:

" وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه "

" فإن قوما نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فإياكم أن تكونوا أمثالهم "

¹ - علي الجارم - مصطفى الأمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص501.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص72.

" ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفا من بعدهم "

" وهذه الأمثلة بينت اعتماد أبي بكر رضي الله عنه بشكل كبير على الازدواج بالمدن

القريب الممثل في الجمل القصيرة .

" إن شئتم أن تقولوا إنا وإياكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا"¹

وما تجدر الإشارة إليه التحام الوسائل اللسانية وظهورها في السجع كالإحالة والتضام

والتكرار وهذا بيان على أن اجتماع هذه الوسائل والتحامها خدمة للحجاج.

أما استخدامه السجع على المدى البعيد ففي قوله:

"واعلموا أن ما أخلصتم الله من أعمالكم فطاعة اتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب

أديتموها ... أثاروا الأرض وعمروها ... المدائن وحضروها..."²

*المقابلة والطباق:

تعرف المقابلة " أن يأتي بمعنيين أو أكثر يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب "

³ حيث يقول الصديق في خطبته " والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له وأضعفكم

عندي القوي حتى آخذ الحق منه"⁴ فهذه مقابلة توضح المعنى بالتضاد حيث ساوى بين

القوي والضعيف، فالقوي عنده ضعيف والضعيف عنده قوي، أي أنه من جهة ينصر

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص78.

² - المرجع نفسه، ص73.

³ - علي الجارم - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص263.

⁴ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص72.

الضعيف، ومن جهة أخرى لا يهاب القوي، وهذا ما يدل على عدله رضي الله عنه وأرضاه.

الحجة 1: الضعيف فيكم قوي عندي . نلاحظ من خلال هذا المثال أن كل حجة تتطوي نقيضها، وهي بهذا تفسر المعنى المقصود وتكمله وفي هذا تعزيز للطرح وسد لطرق الإنكار من أوجه كثيرة.

الحجة 2: " هو اليوم حي وغدا ميت " ¹ وهي مقابلة بالتضاد، فلفظة "اليوم" عكس "غدا" ولفظة "حي" عكس "ميت" ، ونلاحظ من خلال هذا المثال كذلك أن المقابلة تتركب من طباق، "فإن محمد قد مات" نجد أن المسند ليس مرادف للمسند في الجملة الإسمية "فإن الله حي لا يموت"، وإنما هو مضاد له ومن هنا فهو طباق سلبي، وكذلك فهي مقابلة اثنتين باثنتين. وتقوم المقابلة بزيادة المعاني وضوحا في الفكر، ورسوخا في النفس، وذلك لأنها تقابل المعاني وتؤكدها خير تأكيد وتصورها في الذهن فتزداد عمقا في الفهم، ويظهر هذا بوضوح في خطبة الصديق حيث قابل "اليوم" ب "غدا" على الترتيب، والمعنى الذي يحمله المثال هو أن الله هو خالق الموت وكل إنسان يموت حتى وإن كان نبيا، فالفناء مصير كل البشر وأن الفخر والتفاخر لا يضمن له الخلود، وقد قال الصديق هذه الكلمات ليثبت قلوب الناس الذين عمت أعينهم عن الحقيقة وظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم خالد ولن يموت.

¹ - المرجع نفسه، ص77.

الحجة 3: قوله " لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة"¹ في هذا المثال كذلك مقابلة فهو يقابل بين "النار والجنة" وبين "الشر والخير" وهي مقابلة وفي نفس الوقت موازنة، فهو في هذا المثال يبين أنه من يعمل الخير فجزاءه الجنة ومن يعمل الشر فجزاءه النار كما نجد في هذا المثال طباق السلب في قوله " لا خير بخير ولا شر بشر". من الجدير بالذكر أن أغلب خطب أبي بكر رضي الله عنه ورد فيها الطباق والمقابلة نظرا لحجاجيتها ونورد أمثلة من خطبه:

. ((عوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي)) .

. كما نجد قوله: " فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل

فسددوني"

***الجناس:** " أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان تام وغير

تام"². وقد ورد الجناس في قول أبو بكر الصديق" فهي عندهم شافعة ولهم نافعة"³

نلاحظ من خلال هذا المثال أنه استخدم الجناس الغير التام فقوله " شافعة " و" نافعة "

فقد اختلفا في حرف واحد.

وقوله: " فطاعة أتيتموها وحظ ظفرتم به وضرائب أدیتموها " هنا في هذا المثال اختلفا

كذلك في ترتيب الحروف .

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص75.

² -عبد المعتال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج 3، ط1، المكتبة العلمية، 2002م، ص243.

³ -أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص67.

*التضمين : كما هو معلوم أن يضمن الشعر شيئاً من شعر غيره ، مع التنبيه إليه إن لم يكن مشهوراً وقد تمثل أبو بكر الصديق شعر طفيل الغنوي فقال مخاطباً الأنصار " فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي " ¹:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت... بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمانا...تلاقي الذي يلقون منا لملت

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم... ظلال بيوت أفادت وأظلت.

أظهر الصديق في هذه الخطبة براعة كبيرة في التمثيل، بالشعر كما تجلت دقة مطابقة هذا الشعر للواقعة التي تمثل لها هذا الشعر، وكأنه كما قال محمد طاهر درويش " فكأنما صنع هذا الشعر لهذه الواقعة " فهو من خلال هذا التمثيل أراد أن يبين مكانة الأنصار العالية، وأخلاقهم فهم الذين أشركوا المهاجرين في أموالهم، وأزواجهم ونصروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

* الاقتباس: هو " أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه " ² وهذا ما أورده الصديق في خطبته، حيث نجد أن خطبته طغت عليها الصبغة الإسلامية، وذلك من خلال الألفاظ التي اعتمدها، فقد كانت كلها ألفاظ إسلامية نابعة من العقيدة والشريعة الإسلامية وقد استشهد الصديق بقوله تعالى " إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " الأنبياء الآية 90.

¹ - محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج2، ص244.

² - محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج1، ص244.

في هذه الآية " ذكر الأنبياء والمرسلين على انفراد، ثم أثنى عليهم عموماً أي أنهم كانوا يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها"¹ وقد استشهد الصديق بهذه الآية في خطبته في الوعظ والإرشاد، فهو يعظهم بأن يخلطوا الرغبة بالرهبة، فعليهم أن يسألوا عن الأمور المرغوب فيها من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذوا من الأمور المرهوب منها فالقارئ بمجرد أن يعلم أن هذه الآية معجزة منزلة من عند الله عز وجل، ثم ينظر إلى الشخص الذي يتلوها يقتنع تماماً دون أن يخالجه أي نوع من الشك، وهذا ما يعرف بـ "الحجاج بالسلطة" أي أن الحجة تستمد قيمتها من قيمة المحاجج، وليس هناك أقدر من القرآن الكريم على الإقناع دون ترك أي شك في ذهن المتلقي.

واقتبس قوله تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان" السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبادروا إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وإقامة الدين، هذه الخطبة خطبها الصديق في سقيفة بني ساعدة عندما أرادوا أن يولوا سعد بن عبادة الخلافة وقالوا بأنهم أولى بها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنهم أول من أواه و شاطروا المؤمنين في أموالهم فهو من خلال هذا التمثيل أراد أن يبين أن المهاجرين هم عشيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرهم الله أولاً في كتابه قبل الأنصار وهم أول من آمن وهذا ما دفعهم إلى القول بأفضليتهم على الأنصار وأحقيتهم بالخلافة، وهذه

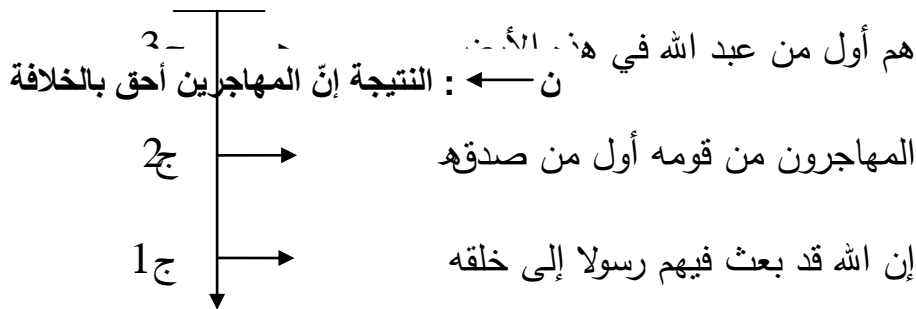
¹ - عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ومقابلة عبد الرحمن معلّ اللويق، دار ابن الجوزي، القاهرة، (دت)، ص513.

الآية التي استشهد بها الصديق في خطبته نزلت في أبي بكر وهو من السابقين الأولين بل هو أول من أسلم وهاجر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان بيته في خدمته.

نستنتج أن القرآن يمثل في الثقافة الإسلامية دعامة حجاجية، وعلى هذا الأساس يكون الهدف من توظيف الآيات هدفاً تأكيدياً، حيث يعمل على تأكيد ما تقدم من كلام الخطيب، وهذا ما يؤدي إلى ترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي، ولعل القرآن الكريم يعد أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية ويعتبر الاستشهاد إيجازاً لحادثة وعدم الإطناب فيها.

3- الآليات شبه المنطقية: وتتمثل في الصيغ الصرفية والسلم الحجاجي كما سبق ذكره.

أما بالنسبة للسلم الحجاجي فنمثل له بقول أبو بكر الصديق في خطبته في سقيفة بني ساعدة: " إن الله قد بعث محمداً رسولاً إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحده (..) فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه (..) فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر"¹



¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 67.

فالخطيب رتب الحجج بتدرج حسب تفاوتها في القوة لخدمة النتيجة المضمرة،
بالربط الحجاجي في هذه الخطبة، وللدلالة على الجمع بين قولين، فهذه المجموعة من
الحجج يمكن أن نرسم لها (ج 1) و(ج 2) و(ج 3) (ن). فجاءت تلك الحجج متساندة
بشكل علاقة سُلمية نشأت بين الأقوال، فسرت عمل الرابط الحجاجي (الواو) الذي
يستعمل حجاجيا، وذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كل حجة منها
الأخرى، وكانت (ج 2) أقوى من (ج 1) و(ج 3) أقوى من (ج 2 و ج 1) وأسندت كل
هذه الحجج إلى نفس النتيجة (ن) وهي الأحقية بالخلافة فأنت هذه الحجج متلاحمة
لتثبتها وذلك عن طريق السلم الحجاجي.

كما تعتبر صيغ المبالغة والتفضيل، من الحجج الشبه المنطقية يقول أبو بكر بعد أن
حمد الله وأثنى عليه: " إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه، (...) ويزعمون أنها لهم
شافعة، ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت، وخشب منجور (...) فعظم على
العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، (...)
والصبر على شدة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم (...)، فهم أول من عبد الله في
الأرض (...)، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم (...) ولا
سابقتهم العظيمة في الإسلام، (...) لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور " ¹.

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 67 - 68.

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نولي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عباد، لأنهم أحق بالخلافة، ولأنهم نصروا رسول الله بعدما طرده قومه، فجاءت هذه الخطبة لتهدأ النفوس، وقد استعمل الصديق صيغة المبالغة التي تعني " الإفراط في وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة " ¹ ومن أمثلة ذلك نذكر (فعظم، فخص، شدة، أول، أحق، ظالم، سابقته، تفتاتون، " فمثلا عندما استخدم لفظة "عظم " هنا يخاطب المشركين من قريش الذين أبوا أن يتركوا دين آبائهم وطردوا رسول الله من قبيلته. كذلك لما قال (منحوت، منجور) يقصد بها تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها ويصنعونها بأيديهم، فلما قال من حجر منحوت، وذلك لشدة إيقانهم في صنعها، ثم استعمل لفظة "خص" ليبين منزلة الأنصار عند ربهم فهم أول من صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه، رغم معارضة قومهم لهم. وقال " أحق " لأنهم عشيرته وأولياءه، ثم أتبعها الصديق بلفظة "ظالم" ويعني هذا أنه لا يحق لأحد أن ينكر ذلك، وكذلك حين قال " لاتفتاتون بمشورة " فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يستشيرهم، وكان إذا استعمل رجلا من قريش قارن به رجلا منهم .

أما استخدامه صيغ التفضيل التي تدل "على أن أحد المشاركين في صفة قد زاد على الآخر فيها" ²، ومن بين صيغ التفضيل نجد: (عظم، أول، العظيمة

¹ - أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان والبدیع، ط1، دار البحوث العلمية، الكويت، ص228.

² - جرجي شاهين، الصرف والنحو، ص48.

،التصديق) كل هذه الصيغ استعملها أبو بكر لبيان أفضلية النصارى، الذين نصرُوا رسول الله بعدما طرده قومه من قبيلته، فهم أولى في جهاد المشركين، وسباقون في هذا الدين فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يفضلهم، وقد مات وهو راض عنهم كما قال الصديق. ونقل إليهم قوله عليه الصلاة والسلام " لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار واديا لسلكوا وادي الأنصار" ¹ كل هذا الكلام قاله الصديق لكي لاتحدث فتنة بين المسلمين.

¹ - علي الططاوي، أبو بكر الصديق، ص159.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرحلة البحثية التي قادتنا إلى البحث في آليات الحجاج، في خطب أبي بكر الصديق لنصل إلى محطة بسط النتائج التي خلصنا إليها في هذه الدراسة وهي كالآتي:

تكمن أهمية الحجاج فيما يولده من إقناع لدى المتلقى، والذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللغة، مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الأساسية هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية. كما أن الخطابة فن من فنون النثر القولي هدفها التأثير في جمهور السامعين وإستمالاتهم وإقناعهم بالحجج والبراهين، وقد استخدم الصديق مجموعة من الآليات المختلفة، والتي تستقل كل واحدة منها بدورها الحجاجي، وهذا ما يبرز براعة الخطيب وقوة جأشه وصبره يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومحاربه لجيوش المرتدين، ومنها الأساليب البلاغية من صور بيانية كالاستعارة والتشبيه والكناية، التي لها دور في الحجاج، ويتمثل دورها في تقريب المعنى البعيد وإظهاره في أجمل صورة تستقطب النفوس وتحرك الشعور، إلى جانب تجسيدها للمعنويات في محسوسات يتفاعل معها القارئ ويستجيب لها. كما اعتمد على البديع من محسنات معنوية كالطباق والمقابلة، وأخرى لفظية كالسجع والجناس والتي تضيف على النص جرسا موسيقيا يستحسنه السامع ويرتاح له.

وبالإضافة إلى هذه الآليات والأساليب البلاغية وإسهامها في الحجاج، نجد الآليات اللغوية والتي تتمثل في الروابط الحجاجية من أدوات لغوية وأفعال لغوية، والتي

لها دور كبير في تأدية المعنى، وانسجام الخطاب من أدوات توكيد واستفهام وأمر ونهي وغيرها، وحروف الجر والعطف، وهذه الأخيرة تنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة بذاتها. أما الآليات شبه المنطقية فتمثلت في الدور الذي قام به السلم الحجاجي، فقد بنى الصديق حججه على أسس متينة من الإحكام والجودة سواء أكان ذلك في نظمها وتراكيبها، أو صحة مقدماتها ونتائجها وبُعد مراميها في معالجة القلوب وتوجيه السلوك وإصلاح المجتمع.

وأخيرا ككل باحث في بحثه، يتعرض إلى صعوبات في طريق إنجازهِ للبحث منها ضغط البرنامج الدراسي، وتوالي البحوث والامتحانات مما ولد الأثر الكبير في ضيق الوقت وصعوبة التوفيق بين الكل، غير أنه و- الله الحمد - سعيًا جاهدين بقدر الاستطاعة من أجل أن نستفيد ونفيد، فما لا يدرك كله، لا يترك جله.

قائمة المصادر

والمراجع

• القرآن الكريم.

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد

هارون، (دط)، دار الجيل، بيروت، (دت).

- الفراهيدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين، مج1، مادة(ح ج ج)، تح: عبد الحميد

هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، 2003.

- ابن منظورأبو فضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ، لسان العرب، مج52، مادة

(ح ج ج)، تحقيق عبد الحميد هنداري دار اللسان العربي، بيروت، 1969.

-الجرجاني ، عبد القاهر:

أسرار البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق عبد الحميد هنداوي،

ط1، دار الكتب العلمية،بيروت، 2001.

أسرار البلاغة، شرح وتعليق محمد خفاجي ومحمد عزيز،

ط1، شرق دار الجيل، بيروت(دت).

دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التونجي،

ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.

-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء، مقاييس اللغة، ط1، دار الجيل، بيروت.

-ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: بدوي طبانة، ط2،

منشورات دار الرافعي، الرياض.

- الزمخشري، ابن عمر، أساس البلاغة، ط1، دار صادر، بيروت، دت.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دت.
- المبخوت شكري، نظية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، دط، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.
- الطلبة سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- مطلوب أحمد، فنون بلاغية البيان والبدیع، ط1، دار البحوث العلمية، دت، الكويت.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، 2006م
- بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
- جرجي شاهين، الصرف والنحو، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت.

-صولة عبد الله:

الحجاج أطره وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة

الجديدة ليبرلمان وتيتيكاه ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد

الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب

والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.

الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2001،

تونس.

- الحباشة صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للطباعة والنشر،

ط1، 2008. عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي

العربي، 1997، الدار البيضاء المغرب.

-الططاوي علي، أبو بكر الصديق، ط3، دار المنايرة، 1976.

- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق

ومقابلة عبد الرحمن اللويق، دار ابن الجوزي، القاهرة.

- عبد المعتال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في العلوم البلاغية، ج3،

ط1.

- علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبدع، ط1،

المكتبة العلمية، 1423، بيروت.

-حشاني عباس، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2014.

-عباس حسن:

النحو الوافي، ج4، دار المعارف، مصر(دت).

النحو الوافي، ج2، دار المعارف، مصر،(دت).

- لاشين عبد الفتاح ، تراكيب النحو من الوجهة البلاغية، دار المريخ ، دت.

- معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر،

1994.

- درويش محمد طاهر ، الخطابة في صدر الإسلام، ج1.

* الرسائل والمذكرات الجامعية:

- القاسمية جميلة بنت سعيد بن سليم ، البعد الحجاجي في الأعمدة الأدبية، إعداد

صلاح الدين بوجاه، مجلة دبي الثقافية، رسالة ماجستير، 2016.

-خالد إسماعيل، الطرائق الحجاجية في الخطابة السياسية، مجلة كلية العلوم

الإنسانية، جامعة الوقار.

- حلالة هناء، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، مذكرة ماجستير مخطوطة،

جامعة محمد خيضر، 2014.

-المجلات:

- عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة الخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر.

الفهرس

المحتوى	رقم الصفحة
شكر والعرافان	-
إهداء	-
مقدمة	أ
الفصل الأول: الحجاج وتقنياته	7
1 تحديد مفهوم الحجاج	6
- لغة	6
- اصطلاحا	8
- الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه	8
- الحجاج عند ديكر	9
2 تقنيات الحجاج	12
أ تقنيات الوصل	13
ب- تقنيات الفصل	18
الفصل الثاني: التطبيق	39
تقديم	40
أ الطرائق الحجاجية	40
1 الروابط الحجاجية	40
2 العوامل الحجاجية	44
II - الوسائل البلاغية	63
III - الآليات شبه المنطقية	74
خاتمة	79
قائمة المراجع	82
الفهرس	88